

کتابخانه آصفیہ کا عالی حیدر آباد دکن  
(\*)

۲۰۶۶۵

نمبر داخلہ

تاریخ داخلہ

نام کتاب بحریب الاخلاق

فن کتاب اخلاق

۳۵۶

نمبر کتاب دفن مذکور

2308  
2308



# تهذيب الاخلاق

تأليف الشيخ الفاضل الفكيم أبي نعيم  
يحيى بن عدي

المتوفى في سنة ٣٦٣ هـ. على الأشهر  
قدس الله روحه ونور ضريحه

الطبعة الثانية ١٩٦٣

سنة ١٦٣٠ ش — ١٩١٣ م

مع مقدمة عن تاريخ المؤلف لناشر الكتاب

مراجعة فاضل

الطبعة المصرية الاهلية بشق الثعبان نمرة ٤ بشارع كلود

# المقدمة

منذ اثنتين وأربعين سنة أي في سنة ١٥٨٨ س ( ١٨٧٢ م ) أيام  
انتظمت مطبعة الدار البطريركية التي سعى في احضارها الطيب الذكر  
والاثر الانبا كيرلس الرابع الذي لا اكنيه الا «بأي الاصلاح القبطي»  
ودعيت « بالمطبعة القبطية الالهية » - فد اعنى مديرها بطبع كتاب  
« تهذيب الاخلاق » للعلامة الشهير « يحيى بن عدى » النصراني الدين  
الارثوذكسي اليعقوبي المذهب السرياني الجنس . ويلوح لي انه أول  
الكتب التي طبعت فيها لانه قد ختم بختم المطبعة الذي عمل في سنة  
طبعه وكتب في آخره : « تم طبع كتاب تهذيب الاخلاق للعلامة  
الشهير يحيى بن عدي السرياني الارثوذكسي بالمطبعة القبطية الالهية  
سنة ١٥٨٨ للشهداء الاطهار » اه . —

وما ذلك الا لأن هذا الكتاب النفيس قد حوى من النصائح  
لتهذيب الاخلاق ما يفيد الطلاب الراغبين في الفضائل حتى يتربوا على  
مكارم الاخلاق ليسيروا في الطريق القويمة .  
ونظراً لنفاد طبعته الاولى وندرة وجوده رأيت اعادة ضبعه أولى  
من امله وضياعه كغيره من الكتب . ولا سيما وان هذا الكتاب النفيس  
الذي قضى بين عالم الادب عشرة قرون لم يزل مفيداً لكل متدين بأي  
دين من الاديان نافعاً لكل طالب مستفيد .

ما المؤلف للكتاب فهو رجل فاضل سرياني الاصل نصراني يعقوبي اشهر أمره وذاع ذكره وعدّه من كبار الحكماء، توفي في يوم السبت ٢١ ذي الحجة سنة ٣٦٣ - ١٥ توت سنة ٦٩١ -- ١٢ سبتمبر

سنة ٩٧٤ على حسب قول القفطي الاخير المحقق كما ترى بعد وفد وجدت في كتاب خطي - ذكر فيه بعض رسائله وأجوبته -

ما كتبه عنه صاحب كتاب تاريخ « مختصر الاول » الملامه غريغوريوس أبي الفرج بن أهرن الطالبي الملقب المعروف بابن العبري قال :

« وفي هذا الزمان اشتهر يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا النكري المنطقي نزيل بغداد . اليه انتهت رئاسة أهل المنطق في زمانه . قرأ على أبي نصر الفارابي . وكان نصرانيا يعقوبي النحلة وكان ملازما للنسخ بيده كتب كثيرا من الكتب وكان يكتب خط فاعدا بين في « يوم والميلة مائة ورقة وأكثر . وله تصانيف وتفسير وتقول عدة . ومات ثالث عشر آب سنة الف وثمانين وخمس وثمانين لاسكندر ودفن في بيعة القبطية ببغداد وكان عمره احدى وثمانين سنة شمسية » (١) هـ . وقال أيضا عنه عند ذكر ارسطو وكتبه : « وكتب ما بعد الطبيعة نقله من السرياني الى العربي يحيى بن عدي » هـ (٢)

وقال الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي المتوفى في سنة ٦٤٦ هـ . في كتب « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » :

(يحيى بن عدي) بن حميد بن زكريا المنطقي أبو زكريا . نزل بغداد اليه انتهت رئاسة أهل المنطق في زمانه قرأ على أبي بشر من ابن يونس وعلى أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي وعبيدة في وقتهم وكان نصرانياً يعقوبي النحلة وكان ملازماً للنسخ بيده كتب الكثير من كل فن وكان يكتب خطأ قاعداً يئناً . وعاتبه ببعض معارفه على ملازمة النسخ والقيود . فقال له : من أي شيء تعجب . أمن بصري وقعودي ، لقد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما إلى ملوك الأطراف . وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولعهدي بنفسى وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة أو أقل .

« وله من التصانيف في التفاسير والنقول :

- ١ « كتاب نقض حجج القائلين بأن الأفعال خلق اللهوا كتباً بالعبد .
- ٢ « وكتاب تفسير طويلاً لأرسطوطاليس .
- ٣ « كتاب مقالة في البحوث المؤسسة عن الرؤس الثمانية .
- ٤ « كتاب في تبين الفضل بين صناعتي المنطق الفلسفي وانحو العربي
- ٥ « كتاب في فضل صناعة المنطق
- ٦ « كتاب هداية من تاه الى سبيل النجاة
- ٧ « كتاب في تبين أن للعدد والاضافة ذاتين موجودتين في الأعداد
- ٨ « مقالة في استخراج العدد المضممر
- ٩ « مقالة في ثلاث بحوث غير المتناهي
- ١٠ « تعليق آخر في ذلك

- ١١ « مقالة في ان كل متصل انما ينقسم الى متصل
- ١٢ « كذب جواب يحيى بن عدي عن فصل من كتب أبي الحسن  
المحوي في ظنه ان العدد غير متناه
- ١٣ « مقالة في اكلامه في ان الافعال خافى الله واكتسب العباد
- ١٤ « كتب أجوبة بشر اليهودي عن مسأله
- ١٥ « كتب شرح مقالة الاسكندر في الفرق بين الجنس والمادة
- ١٦ « مقالة في ان حرارة النار ليست جوهر النار
- ١٧ « مقالة في غير المتناهي
- ١٨ « مقالة في الرد على من قال بان الأجسام شبيهة بنيران الجبل
- ١٩ « تفسير فصل في المقالة الثامنة من السمع الطليقي لأرسطو، ليس
- ٢٠ « مقالة في انه ليس شيء موجود غير منزه لاعداد ولا عظم .
- ٢١ « مقالة في تعريف قول الفيلسوفين بتركيب الأجسام من أجزاء متجزئة
- ٢٢ « مقالة في تبين ضلالة من يعتقد ان علم البري بالأمور الممكنة  
قبل وجودها .
- ٢٣ « تعليق آخر في هذا المعنى
- ٢٤ « مقالة في أن الكم ليس فيه تضاد
- ٢٥ « مقالة في أن القطر غير مشترك لضعف
- ٢٦ « عدة مسائل في كتب ايساغوجي
- ٢٧ « مقالة في أن الشخص اسم مشترك



- ٢٨ « مقالة في الكل والأجزاء
- ٢٩ « تفسير الألف الصغرى من كتب أرسطوطاليس في 'بعدها' طبيعة
- ٣٠ « مقالة في الحاجة الى معرفة مابهايات الجنس والفصل والنوع  
والخاصة والعرض في معرفة البرهان
- ٣١ « مقالة في الموجودات
- ٣٢ « مقالة في أن كل متصل ينقسم الى أشياء ينقسم دائماً بغير نهاية
- ٣٣ « كتاب اثبات طبيعة الممكن وأقوى الحجج على ذلك والتنبيه  
على فسادها
- ٣٤ « مقالة التوحيد
- ٣٥ « مقالة في أن المقولات عشرة لا أقل ولا أكثر
- ٣٦ « مقالة في أن العرض ليس هو جنساً للتسع المقولات العرضية
- ٣٧ « مقالة في تبين وجود الأمور العامة
- ٣٨ « قول فيه الجزء الذي لا يتجزأ
- ٣٩ « تعاليق عدة في معان كثيرة
- ٤٠ « قول فيه تفسير أشياء ذكرها عند ذكره فضل صناعة المنطق
- ٤١ « تعاليق عدة عنه عن أبي بشر متى في أمور جرت بينهما في المنطق
- ٤٢ « مقالة في قسمة الأجناس الستة التي لم يقسمها أرسطوطاليس  
الى أجناسها المتوسطة وأنواعها وأشخاصها

٤٣ « مقالة في البحوث العلمية الأربعة عن أصناف الموجود الثلاثة :

الالهي والطبيعي والمنطقي

٤٤ « مقالة في نهج السبيل الى تحليل القياسات

٤٥ « كتاب الشبهة في ابطال الممكن

٤٦ « جواب الدارمي وأبي الحسن المتكلم عن المسئلة في ابطال الممكن

٤٧ « مقالة بينه وبين ابراهيم بن عدي الكاتب ومناقضته في أن

الجسد جوهر وعرض .

٤٨ « مقالة في جواب ابراهيم بن عدي الكاتب

٤٩ « رسالة كتبها لأبي بكر الآدمي اعطار فيما تحقق من اعتقاد

الحكماء بعد النظر والتحقيق

« مات الشيخ ابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكرياء

الفيلسوف يوم الخميس لتسع بقين من ذي الحجة سنة اربع وستين

وثلاثمائة للهجرة وهو الثالث عشر من آب سنة الف ومائتين وخمس

وثمانين للاسكندر ودفن في بعة القطيعة ببنجراد وكان عمره احدى

وثمانين سنة شمسية. ورأيت في بعض التعاليق بخط من يعني بهذا الشأن

وفاته كانت في اليوم المقدم ذكره من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة اهـ<sup>(١)</sup>

وقد اشتهر هذا الرجل وذاع ذكره في الآفاق وتنقلت كتبه

واستشهد بها العلماء في اشرق حتى شهد له الخصوم بالبراعة . وله

حكايات مأثورة مشهورة فما يروون عنه ما كان في مقدمة الكتب .  
قال الكاتب :

« اخبرني بعض اخواني اطلال الله بقرهم ابي بن ان . . .  
الحسن علي بن عيسى بن الجراح استجدر ابو مسد . . .  
الاصبهاني رحمه الله لوافقته على ما كان يتولاه من الامور . . .  
بينهما خطاب اختافا فيما يجب فيه الحكم واتقيا عن ان يربيه . . .  
من يوثق ببصيرته باحكام الديوان من كتاب الخضره مذكور . . .  
ابو الحسن رجلاً من وجوه كتاب النصارى . نزل ابي مسد . . .  
به لانه لا يحسن الحساب . فقال اوزير منكر اعابه : نقول . . .  
انه لا يحسن الحساب ؛ قال : نعم . لان الواحد عزمه الما . . .  
واحد . فاستضحكه بذلك . الى ان قال : « قال بئر بن عيسى . . .  
حميد بن زكريا . الخ » .

وقال في مقدمة كتاب آخر :

« هذا كتاب الشيخ الفاضل ابي زكريا يحيى بن عدي بن عيسى بن عيسى  
من علماء النصارى المسيحيين . لان تلك البلاد : البصرة و . . .  
يسمون نصاراها بتل هذه الاسماء .

« وقوله الشيخ ابو زكريا انما هو تعضي في حق الرجل كونه من  
العلماء . واما تسمية يحيى وعدي ويونس وعبي وعمار وتيمسى ومثل  
ذلك فليس فيه سناعة لان عادة اهالي تلك البلاد يسمون بتمل  
هذه الاسماء وهم نصارى مسيحيون علماء افاضل .

« وعزلاً، مبدأ، فئة اسر بان ايعاقبة لان مدينة تكريت وهي  
كوسى منربز اسرف وهو طاران كبر له ان يتسه اسنة من  
نمت . هـ كبطارل وارا اسر عند بطريك انطاكة فيقوم له وهو  
يقول ابني بطارل وبلمس عزيمته . ولما خربت تكريت نقل  
هذا الكوسى الى مدينة الموصل بقرب نينوى وهو كرسى الزريان  
حالا كما ذكرنا . وهـ ثمة اسكرت هي قريبة الى بغداد . وبغداد  
هي قريبة الى بصرة . ولي زماننا هذا . جـ في تكريت وبغداد  
وبصرة نرى الانباء وهي بلاد اسام . واما مدينة الموصل  
فوجود بها نرى « بكبر ونواحيها بلاد كثيرة موجودة  
من ذلك السرى » .

وقل عنا ادمت قهني شيخ الموصل انسر بر النسر  
عالم المون الدب السرى زن اوت اب اسحو به نفس المعروف  
بابن «عسال في كتاب تجود اصول اسير ومسموع محصول البقين :  
« الشيخ الاجل «هـ» ذل «ماذمة حجة دين النصرانية  
برهان انما له «تقوية يجر بن عري» .

وقد نقل عنه كثير ولاسيما «رد على بني عيسى اوراق . وقد  
اختصر الشيخ «صفي أبو الفاضل بن «عسال كثيرا من أقواله .  
ونقل غير أولاد «عسال عنه من كنهه شيد كثيرا في التثليث والتوحيد  
لانه حجة يرجع اليه قد اسعمل عقلا في فحص الامور الدقيقة للتوصل

الى معرفة الحقيقة فلم يرتكن على الاوهام ولم يقنع بالقليل من العلوم  
وبالجملة فان ذكر هذا الرجل العظيم دائم لخدمته للعلم ونبوغه  
فيه ومثابرته على ما يرفع شأن الانسانية بتهديب الاخلاق .

ولما كان كتابه هذا من أجل الكتب وأسمائها . رأيت ان ازفه  
الى الناس لان مؤلفه لم يكتبه الى فرقة مخصوصة بل الى الكل مثبتاً  
فيه ان الاخلاق الحميدة تجعل الانسان ممتازاً عن لم يتخلق بها .

جرجس فيلوثاؤس عوض

٣ بابه سنة ١٦٣٠

## بسم الله الرؤوف

قال : اعلم ان الانسان من بين سائر الحيوان ذو فكر ونميز وهو  
أبداً يخب من الامور أنفسها . ومن المراتب أسرفها . ومن المقتنيات  
أنفسها . اذا لم يعدل عن التمييز في اختباره . ولم يقلبه هواه في اتباع  
أغراضه . وهذا أولى ما اختاره الانسان لنفسه . ولم يقف دون بلوغ  
غايته . ولم يرض بالمقصر عن نهاية تمامه وكله . ولا جل تمام الانسان  
وكله وجب أن يكون مرتبة <sup>(١)</sup> بمكارم الاخلاق ومحاسنها ،  
منزها عن مساوئها وعن مقبوحها . آخذاً في جميع أحواله بقوانين  
الفضائل . عادلاً عن كل طرف الرذائل . واذا كان ذلك كذلك كان  
واجباً على الانسان ان يجعل قصده اكتساب كل نعمة سليمة من  
العائب . ويصرف همه الى افتداء كل خلق كريم خالص من السوائب ،  
وان يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة رديئة . ويستفرغ  
وسعه في اطراح كل خلة مذمومة دنيئة . حتى يحوز الكمال بتهديب  
أخلاقه . ويكتسي حال الجمال بدمائة شمائله . ويباهي بحق أهل  
السؤدد والفخر . ويلحق بالذين هم من درجات النباهة والمجد . الا

إن المبتدئ يطلب هذه المرتبة . والراغب في ادراك هذه المنزلة . ربما خفيت عليه الخصال المستحسنة التي يهنيه تجربتها أعني اتخاذها . وله تمييز له من المستقبحة التي غرضه توقيها . فمن أجل ذلك وجب علينا ان نقول في الاخلاق وعلمها قولاً : نبين فيه ما الخلق وما علته . وكم أنواعه وأقسامه . وما المرضي منه المغبوط صاحبه والمنخاق به . وما المستثنى منه أعني المستقبح المحقوت فاعله والمتوسم به . ليسترتد بذلك من كانت همته تسمو الى مباراة أعمل النظر . ونزله أوبة تنبو عن مساواة أهل الدناءة وانقص . موضحين أبناً طريق الارتياض بالمحمود من أنواعه وانتدرب به . وتكسب المذموم أي الانساب منه وتجنبه . حتى يصير لمرتاض به ديدنا وعادة وسجية وجب . ايتهدي به من نشأ عن الاخلاق السيئة وألها . وجبرى على العادات الرديئة وأنس بها فيتركها . ونصف أيضاً الانسان التام المهذب الاخلاق . المحيط بجميع المناقب الخلقية وطريقته التي يصل بها الى التمام وتحفظ عليه الكمال . ليشاق الى صورته من تشوق الى الرتبة العليا . ويمن الى اجتذاب سيرته من استشراف للغاية المقصوى . وقد يتنبه أيضاً بما ذكره من كانت له عيوب قد اشتهرت عليه . وهو ما ذلك يظن انه في غاية الكمال . فان من هذه سائته اذا تكرر عليه ذكر الاخلاق المكروهة تيقظ لما فيه من ذلك وأنف منه . واجتهد في تركه والتزهر عنه . وكذلك اذا تصفح وصف الاخلاق المحموده من كان جامعاً لاكثرها عادماً لبعضها . قدم الى التخلق بذلك البعض الذي هو عادم له . وناقت نفسه الى الاحاطة بجميعها . وقد ينتفع بما ذكره أيضاً

من كان غاية في السكامل واتمام . فان المذهب الاخلاق السكامل الآلات  
الجامع له حاسن اذا مر بسمعه ذكر الاخلاق الجميلة . والناقب النفيسة  
ورأى ان تلك هي عادته وسجايا . كانت له بذلك لذة عجيبة وفرحة  
مبهجة . كما ان المدوح يسر اذا ذكر المادح محاسنه ونشر ثناءا .  
وأيضاً فانه اذا وجد أخلاقه مدونة في الكتب موصوفة بالحسن كان  
ذلك داعياً له الى الاستمرار على سيرته والامرار على طريقته . والله  
المسئول ان يوثقنا للعواب وهو حسبنا ونعم الوكيل .

— ❦ —

## ﴿ فصل ﴾

« في ذكر الاخلاق »

ولنبدي الآن بذكر الأخلاق فنقول : ان الخلق هو حال  
للنفس به يفعل الانسان أفعاله بأروية ولا اختبار . والخلق قد  
يكون في بعض الناس غريزة ودب . وفي بعض ناس لا يكون إلا  
بالرياضة والاجتهاد . وقد يوجد في كثير من ناس بنير رياضة ولا  
تعلم كالشجاعة والحلم والهمة والعدل وغير ذلك من الاخلاق الحمودة .  
وكثير من الناس من يوجد فيهم ذلك فمنهم من يصير اليه بالرياضة  
ومنهم من يبقى على عادته ويجري على مسيرته . فما الاخلاق  
المدنومة فانها في كثير من الناس كالبخل والجبن والتشرد . فان هذه  
العادات غالبية على أكثر الناس مأكنة فمعتادة عندهم بل



قيل لا يوجد في الناس من يخلو من خلق مكروه ويسلم من جميع العيوب ، ولكنهم يتفاضلون في ذلك كما يتفاضلون في الاخلاق المحمودة . وقد يختلف الناس ويتفاضلون في الاخلاق المحمودة الا ان المجبولين على الاخلاق الجميلة قليلون جداً والمبغضين لها كثيرون . فاما المجبولون على الاخلاق السيئة فأكثر الناس . فان الغالب على طبيعة الانسان الشر . وذلك ان الانسان إذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل الفكر ولا اتميز ولا الحياء ولا التحفظ في جميع أعماله . كان الغالب عليه أخلاق البهائم . وذلك لأن الانسان انما يتميز عن البهائم بالفكر والتميز فقط . فاذا لم يستعملهما كان مشاركاً للبهائم في عاداتها والشهوات مستوية عليه والحياء غائب عنه والغضب مستقر به والسكينة غير حاضرة عنده والحرص والاحتشاد ديدنه والشره لا يفارقه . واذا كان الناس مطبوعين على الاخلاق الرديئة منقادين للشهوات الدنيئة ، وقع الافتقار الى الشرائع والسنن والسياسات المحمودة وعظم الارتفاع بالملوك الحسني السيرة ليردعوا الظالم عن ظلمه ، ويمنعوا الغاصب عن غصبه ، ويعاقبوا الفاجر على فجوره ، ويقمعوا الجائر حتى يعود الى الاعتدال في جميع أموره .

أما الاخلاق المكروهة في طباع الناس فمنهم من يتظاهر بها وينقاد اليها وهم أشرار الناس . ومنهم من يتنبه بجودة الفكر وقوة التمييز على قبحها فيأنف منها ويتنزع لاجتنابها . وذلك يكون عن طبع كريم ونفس

شريفة. ومنهم من لا يتنبه لذلك إلا أنه إذا نبه عليه أحسّ بقبحه فربما حمل نفسه على تركه . ومنهم من إذا تنبه الى ما فيه من النقائص أو نبه عليها ورام العدول عنها تعذر عليه ذلك ولم يطاوعه طبعه ولو كان مؤثراً للعدول عنها مجتهداً في ذلك . وهذه الطائفة تحتاج ان ترشد الى طريق التدرب والتعلم بالمعادات المحموده . حتى تصير اليها على التدريج . ومن الناس من اذا تنبه على الاخلاق الرديئة أو نبه عليها . فلا يحنّ الى تجنبها ولا تسمح نفسه بمفارقةا . بل يؤثّر الاصرار عليها مع علمه برداءتها وقبحها . وهذه الطائفة ليس الى تهذيبها طريق الا بالقهر والتخويف والعقوبة ان لم يروعا التخويف والترهيب

فأما الاخلاق المحمودة فانها وان كانت في بعض الناس غريزية فليست في جميعهم والباقون قد يمكن ان يصيروا اليها بالتدرب والرياضة ويرتقوا اليها بالاعتیاد والناآف . وقد يوجد في بعض الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة ولا الاخلاق الجميلة . وذلك يكون لرداءة جوهره وخبث عنصره وهذه الطائفة من جملة الاشرار الذين لا يرجى صلاحهم . وكثير من الناس من يقبل كثيراً من الاخلاق المحمودة ويأنف طبعه عن بعضها . فلا يعدّ هذا سريراً بل تكون رتبته في الخير والتهذيب بحسب محاسنه .

## ﴿ فصل ﴾

« في العلة الموجبة لاستانف الاثنان »

فأما المسئلة الواجبة لاختلاف الاخلاق في النفس . والنفس ثلاث قوى ، وتسمى أيضاً نفوساً . وهي : النفس الشهوانية والنفس الغضبية والنفس الناطقة . وجميع الاخلاق تصدر عن هذه القوى . فمنها ما يختص باحداهن ومنها ما يشترك فيها قوتان ومنها ما يشترك فيها القوى الثلاث . ومن هذه القوى ما يكون للانسان وغيره من الحيوان . ومنها ما يختص به الانسان فقط .

فأما النفس الشهوانية - فهي للانسان ولسائر الحيوان وهي التي بها تكون جميع اللذات والشهوات الجسمية كالقرم الى المأكول والمشرب والمباضعة . وهذه النفس قوية جداً اذا لم يقهرها الانسان ويرددها ملكته واستولت عليه . فاذا غلبته عسرت هذيبها وصعبت شعها وتذليلها . واذا تمكنت هذه النفس من الانسان وملكته وانقاد لها . كان بالبهائم أشبه منه بالناس ، لان أغراضه ومطلوباته وهمة تصير أبدأً ومصروفة الى الشهوات واللذات فقط ، وهذه هي عادات البهائم . ومن تكون هذه الصفة صفته ، يقل حياؤه ويكثر خرقه . ويستوحش من أهل الفضل . ويميل أبدأً الى الخلوات ، وينقبض من المجالس الحافلة . ويبغض أهل العلم ويشنأ أهل الزرع والنسك . ويرد أصحاب الفجور . وتستحب انفواحش . ويكثر

من ذكرها ويتلذذ باستماعها ويسرّ بمعاشره السخفاء وبغالب عليه المنزل وكثرة اللهو. وقد يصير من هذه خالته الى الفجور وارتكاب الفواحش والتعرض له محظورات. وربما دعت به حجة الذات الى اكتساب الاموال من اقبح وجوهها. وحملتة نفسه على الغضب والتلصص وانخبة وأخذ ما ليس له به حق. وذلك لان الذات لا تملك الا بالاموال والاعراض. فبالمال اذا تعذرت علمه الاموال من وجوهها حصرته شهوته على اكتسابها من غير وجوهها. ومن تنتهي به شهواته الى هذا الحد فهو أسوأ الناس حالاً وهو من الاستقرار الذين يخاف خبثهم ويستحس منهم ويستروح الى البعد عنهم. وحينئذ يصير واجباً على أولي السياسات تقويمهم وتأديبهم وابعادهم ونفيهم حتى لا يفتكوا بالناس. فان في اختلاط من هـ له صنته بالناس مفسدة لهم وخاصة لاحداثهم. فان احدث سريع الانطباع ونفسه مجبونة على البلى الى الشهوات، فاذا مشاهد غيره مرتكباً ذلماً مستحسن الملامحة فيها، مال هو ايضاً الى الاقتداء به والى مساعدة الله. — فاما من ملك نفسه الشهوانية وقهرها كز ضابط لنفسه غفيرة في شهواته محتشم في أفعاله متوقفاً من المحظورات مجود الطريقة في جميع ما يتعلق بالذات.

فأما العلة الانوجية لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم وصفة بهم وفجور بعضهم. فهي اختلاف أحوال الناس الشهوانية فانها اذا كانت مهيبة مؤدبة كن صاحبها غنياً ضابطاً لنفسه. واذا كانت

مهملة مالكة لصاحبها كان صاحبها فاجراً شريراً . وإذا كانت متوسطة الحال كانت رتبة صاحبها في العفة كرتبه في النادر . فمن أجل هذا وجب ان يقهر الانسان نفسه الشهوانية ويهذبها حتى يندبر منقاداً له وبكون هو مالكمها فيستعملها بالتأديب ويكنها عملاً لا حاجة به اليه من الشهوات الرديئة والآفات الفاحشة .

فأما النفس الغضبية فيشترك فيها الانسان ايضاً وسائر الحيوان . وهي التي يكون بها الغضب والحدة والجرأة ومحبة الغلبة . وهذه النفس أقوى من النفس الشهوانية وأضر بصاحبها اذا ملكته واقاد اليها . فان الانسان اذا اعاد للنفس الغضبية كثر غضبه وظهر خرقه واستدحقده وعدم حلمه ووقاره وقويت جراته ويسرع عند الغضب الى الانتقام والايقاع بمغضبه وارثوب بمعدومة عليه فيسرف في العقوبة ويزداد في التشفي ويكثر من السب ويفحش فيه . فاذا استمرت هذه العمادات بالانسان كان بالسباع أشبه منه بالاناس . وربما حملت قوماً على حمل السلاح ضد اخوانهم وأولياهم وعبيدهم وخدمهم عند الغضب من يسير الادوار . وربما اذا غضب من تكون هذه حاله ولم يقدر على الانتقام بالقتل والجراح ، فيعود بالضرب والسب والألم على نفسه . فمنهم من يلطم وجهه ويذف لحبته . ومنهم من يعض يده ويسب نفسه ويدلعه عرضه وهلم جرأ . وأيضاً فان من تملكه النفس الغضبية — كما ذكرنا — يكون محباً للغلبة متوثباً على من أذاه ، مقدماً على من نواه . ضالِباً للترأس

من غير وجهه . فإداله يتمكن من مرغوبه هذا . قصد التوصل إليه  
بالحيل الخبيثة . فستعمل كل ما يمكنه من الشر . وغذوه الأعمال نيرط  
صاحبها ونومه في المهوي والتهالك . فإن من وثب على الناس وتبوا  
عليه . ومن ناصحهم ناصحوه . ومن أهدى عليهم أهدوا عليه .  
ومن أترر عليهم فسدوه بالنار . وإذا سجد الإنسان على خصمه .  
وكان أخوه أسفه منه ذبوا ذلك بكثرة منه . وقد يغاب على من  
هذه حاله الحسد والبغاة . والابحجة والجور . وقد تحمل هؤلاء  
عبية الغلبة ودالب الرسة عن اكتساب الاموال من غير وجهها  
الحلال وأخذها بالبغيب ونعيا والغلام . وربوا على عبية الغلبة  
من يناوشهم . وقد ينعون ذلك من غير روية ولا بصيرة . فيؤول  
الامر بهم الى البوار والاستئثار . فإما من سب نفسه غشبية  
وآذنها وقته . كن حليم ونورا . فلا تترك الخطيئة .

أما العاجل الموجهة لاخلاف عدائه الناس في غضبه وخرقه وحلم  
بعضهم وسماحة بعضهم . فهي اختلاف أحوال النفس الغشبية . فإذا كانت  
متدالة مقهورة . كن صاحبها حليماً وقوراً . وإذا كانت مهمة مستولية  
على صاحبها . كن عنزواً سنيهاً ضلوعاً نسوفاً . وإذا كانت متوسطة  
الحال . كن رباً في السلم كريمة نفسه الغشبية في الشدب . فمن أجل  
ذلك وجب ان يروض الإنسان نفسه الغشبية حتى تنقاد له فيملكها  
ويستعملها في الظروف التي يجب انعمش فيها . وهذه النفس أيضاً  
فضائل محمودة . وذلك لأنفة من الامور الدنية ومحبة الرياسة الحقيقية

وطلب المراتب العالية . وهذه الاخلاق المحموده هي من أفعال النفس  
الفضيلة . فاذا ملك الانسان هذه النفس بالتأديب والتأديب واستعملها  
في الامور الجميلة وكفها عن الاعمال السكروهه ، كان حسن الحال  
محمود الطريقة .

وأما النفس النطقه . فهي التي بها يتميز الانسان من بين سائر  
الحيوان ، وبها يكون الفكر والذكر ، التمييز والتفكير . وهي التي  
يكون بها أيضاً شرف الانسان وعظمة همتا ، فيعجب بنفسه وبها  
يستحسن المحاسن ويستقبح القبايح . وبواسطتها يمكن الانسان ان  
يهدب قوته الباقيتين ، أعني بهما الشهوانية والغضبانية . وينضبطهما  
ويكفهما ، وبها يتفكر في عواقب الامور فيبادر باستدراكها من  
أوائلها . — ولهذه القوة فضائل ورذائل .

أما فضائلها — فاكساب العاوه والآداب وكف صاحبها  
عن الرذائل والفواحش وقهر النفسين الاخرين وتدريبهما وسياسة  
صاحبها في معاشه ومكسبه وفي مروتته وتجهله وحث صاحبها على  
فعل الخير والتودد والرأفة وسلامة النية والحلم والجله . وانسك والعفة  
وطلب الرئاسة من الرجوه المجهله . —

وأما رذائلها — فالحبث والحيا والخذلان والحق والسكر والحسد  
والتشهر والرياء .

وهذه النفس هي لجميع الناس . إلا ان منهم من تغلب عليه فضائلها  
فيستحسنها ويستعملها . ومنهم من تغلب عليه رذائلها فيألفها ويسمر

عليها ، ومنهم من يجتمع به بعض الفضائل وبعض الرذائل . وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجية وطبعاً لا تكلف . - فأما المطبوع على العادات الجميلة منها ، فتكون اقوة نفسه الناطقة وتترف عنصره الطبيعي . - وأما المطبوع على العادات الرديئة الماكروهة ، فاذنفسه الناطقة وسوء جوهره . - وأما الذي تجتمع فيه فضائل ورذائل ، فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال . - وقد يكتب أكثر الناس هذه العادات وتسميها الاخلاق بجاهلها وقبحها معاً ، وذلك يكون بحسب منشأ الانسان وأخلاقه ، فيحيط به وبه شره ويقرب منه بحسب رؤسا وقته ومن يشار اليه بالنباهة وينبسط منهم على رتبة . - فإن احبب والناسي ، يكتب الاخلاق جميعاً أوقبيحة ممن يكبر مجاسه ومخاطباته . ومن أبه ، خصوصاً وأهلاً وعشيرته . فإذا كان هؤلاء سبباً ، الاخلاق مذمومة الطريقة ، كان الحدث والناسي بينهم سيرة - الاخلاق مكروه العادات . وإذا رأى الحدث أيضاً أهل الرئاسة ومن فوته وغبطهم على مراتبهم أثر التنبيه بهم والتخلق بخلقهم ، فنكثروا مذهبنا الاخلاق حسني السيرة ، كن التنبيه بهم حسن الاخلاق مرضي الطريقة . وان كانوا أشراً أجهلاً ، كان الغبط لهم انسب طريقهم شراً أجهلاً . وهذه الحالة هي حالة أخلاق أكثر الناس . فان الجهل والشر والخبث والشره والחסد عندهم غلبة والنس بالعاب يقتدي بعضهم ببعض ويتخذون التابع أبداً سيرة المنبوع . وإذا كان الغالب على الناس الشر والجهل . اقتدى بذلك أولادهم واحداً منهم وتبعاهم .



أما العلة الموجبة لاختلاف أخلاق الناس في سياستهم وفنائهم ونخبة الخير والشر عليهم ، فهي اختلاف قوة النفس الناطقة فيهم . فإذا كانت خيرة فاضلة قاهرة للفسادين الباقيتين ، كان صاحبها خيراً عادلاً حسن السيرة . وإذا كانت شريرة خبيثة مهملة للنفسين الباقيتين ، كان صاحبها شريراً خيئاً جاهلاً . فمن أجل ذلك وجب أن يعمل الإنسان فكره ويميز أخلاقه ويختار منها ما كان مستحسنًا جميلًا ، ويذني منها ما كان مستنكرًا قبيحًا ، ويحمل نفسه على التنبه بالاختيار ، ويتجنب كل النجس عادات الأشرار . فانه إذا فعل ذلك ذلك صار بالإنسانية متحققًا . والرئاسة الذاتية مستحقة .

فأما أنهاء الأخلاق وأقسامها وما المستحسن منها المستحب اعتياده الممدود فضائل وما المستقبح منها الكروه الممدود نقائص ومعايب . فهو الآتي بيانه إيضاحاً وتفصيلاً .



## ﴿ فصل ﴾

« في الاخلاق الحسنة المعروفة فضائل »

أما التي تعدّ فضائل : — فان منها العفة — وهي ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط واجتناب السرف والتقتير في جميع اللذات وقصد الاعتدال ،

وان يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على الارتضاء به، وفي أوقات الحاجة التي لا تثناء عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج الى أكثر منه ولا يجرس النفس والقوة أقل منه . وهذه الحالة هي نهاية العفة .

( ومنها أيضاً القناعة ) -- وهي الاكتفاء على ما سنع من العيش والرضى بما تسهل من المعاش وترك الحرص على اكتساب الاموال وطالب المراتب العالية مع الرغبة في جميع ذلك وايشاره وانيل اليه وقهر النفس عن ذلك والقنع باليسير منه . وهذا الخلق مستحسن من واسط الناس وأصاغرهم . فأما المألوال والعظماء . فليس ذلك مستحسناً منهم ولا تعد القناعة من فضائلهم .

( ومنها التمسون ) -- وهو التحفظ من التبذل . فمن التمسون التحفظ من الهزل القبيح ومخالطة أهمل وحضور مجالسه وضبط اللسان عن المنحش وذكر اخنا والمزح والسخف، وخاصة في المحافل ومجالس المحتشمين، إذ لا أبهة لمن يسرف في المزح ويفحش فيه.. ومن التمسون أيضاً ، الاتقياض عن أدنياء الناس وأصاغرهم ومصادقتههم ومجالستهم، والتحرز من العيشة الزرية واكتساب الاموال من اوجوه الخسيسة، والترفع عن طلب الحاجات من لثام الناس وسفلتهم والتواضع لمن لا قدر له . والاقلال من البروز أعني الطواف من غير حاجة . والتبذل بالجلوس في الاسواق وقوارع الطرق من غير اضطرار ، حيث ان

الاكثر من ذلك لا يخلو من العيوب . فان أعظم الناس قدراً — كما قيل — من ظهر اسمه وخفي جسمه .

( ومنها الحلم ) — وهو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك . وهذه الحال محمودة مالم تؤد الى ثلم جاه أو فساد سياسة . وهي بالملوك والرؤساء أحسن لانهم أكثر على الانتقام من مغفبتهم . ولا يعد فضيلة حلم الصغير على الكبير وان كان قادراً على مقابلته في الحال ، فانه وان مسك عنه ، فانما يعد ذلك خوفاً لاحقاً .

( ومنها الوقار ) — وهو الامساك عن فضول الكلام والعقب وكثرة الاشارة والحركة فيما يستغنى عن التحرك فيه . وقلد الغضب والاصغاء عند الاستفهام والتوقف عند الجواب . والتحفظ عند السرعة والمبادرة في جميع الامور . ومن قبل الوقار أيما الحياء وهو غنى الطرف والانتباه من الكلام حشمة للمستحيين منه . وهذه المادة محمودة مالم تكن صادرة عن عيٍّ أو عجز .

( ومنها الود ) — وهو المحبة المعتدلة من غير اتباع السهوة . وانرد مستحسن من الانسان اذا كان لأهل المنزل والنبل وذوي الوقار والابهة والتميزين من الناس . فاما الودد الى أراذل الناس وأصاغرهم والاحداث والنساء وأهل الخلاعة وماتبهم فكروه جداً . وحسن الود مانسجته على منوال مناسب للفضائل . وهو أوثق الود وأثبتته . فاما ما كان ابتداءه اجتماعاً على هزل أو طلب لذة أو ماشابه ذلك ، فليس بمحمود ولا باقٍ ولا ثابت .

(ومنها الرحمة) -- وهي خلق مركب من الودّ والجزع والرحمة لا تكون الا لمن يفاضر منه لراحه خلقة مكروهة : إما نقبضة في نفسه وإما محنة عارضة له . فالرحمة هي محبة المرحوم مع جرح من الحادثة التي من أجيالها رحمة . وهذه الخلقة مستحسنة لما تخرج به اسمها عن العدل ولم تنه به الى الجور والفساد السياسية . وليست بمودة . رحمة مقاتل عند اليهود والجاني عند القصاص .

[illegible]

(وهذا هو - لا ما - وهو لغت. سم. - الإنسان فيه من من خبرد وما في به عنه من الأرض والخرد - القدرة عليه ورد ما يستودع الى مودعه

(ومنہا کثیر السر) — وهذا الخلق مرکب من بفر واداء۔

الامانة . فان اظهار السر من فضول الكلام وليس بوقور من تكلم بالفضول . والفضولي ناقص الشرف . فكما ان من استودع مالا فأخرجه الى غير مودعه قد حقر الامانة . كذلك من استودع سرا فأخرجه الى غير صاحبه فقد حقر الامانة أيضاً . وكتمان السر من مود من جميع الناس ، وخاصة من يصحب السلطان وأولياء الادور . فان اخراجه اسرارهم قببح في نفسه يتردى الى ضرر عظيم وبلا جسي . ( ومنها التواضع ) — وهو ترك الترفع واظهار التواضع وكراهية التعظيم والزيادة في الاكرام ، وان يتجنب الانسان البهامة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالمال والجاه . وان يحرص من الاعجاب والكبر ، ولا يحمد التواضع الا من اكابر الناس ورؤسائهم وأهل الفضل والعلم . وأما ما سوى هؤلاء فلا يكونون متواضعين بالتواضع . لان النعمة هي محله ومرتبتهم . ولو كانوا غير متفنيين .

( ومنها البسر ) — وهو اظهار السرور بمن بلغاة الانسان من اخوانه وأودائه وأصحابه وأوليائه ومعارفه . والتبسيم عند اللقاء . وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو من الملوك والاعضاء أحسن . لان البسر من الملوك والولاة تتألف به قلوب الرعية والاعوان والخاصة ويزداد به تحبباً اليهم . ولا بعد سعيداً من الملوك أو الولاة من كان مبغضاً لرعيته . لان ذلك ربما أدى الى فساد أمره وزوال حكمه وملكه .

( ومنها صدق الارجفة ) - وهو الاخير عن النبي صلى الله عليه وآله .  
وهذا الخلق مستحسن ما يؤد الى الضرر مفرد . فليس يستحسن  
صدق الانسان ان مثل عن احد كبر انكبه . فانه لا يفي حسن  
صديقه بما ياتقه في ذلك من العار والفتنة والمزلة . وكذلك  
ليس مستحسن ما فيه انما مثل عن مسير امره فخره فخره . ولا ان  
سئل عن جناية متى صدق عنها عوقر عابا بتوبة مزلة . والصدق  
مستحسن من حسن الناس وممن انبأوا والنفاء الحسن . فلا يسعهم  
الكتب ما يد يد الصدق عابا به بضرر .

( ومنها سلامة الذمة ) - وهو تمقد الضرر من بيع الناس  
وتدكب الخبث والغيلة والكر واللة . وهذا الخلق محمود من جميع  
الناس . الا ان ليس يباح املوا انه ان به ذنب . وقد لاية الحكم  
الا باستعمال المكر والخيل والاعنيال من الاعمال . ولكن لا يستحسن  
بهم استعماله مع أخصائهم وأصفيئهم وأهل طاعتهم .

( ومنها السخاء ) - وهو بذل المال من غير مسئة ولا استحقاق .  
وهذا الخلق مستحسن ما بذته الى اسرف والتبذير . من من بذل  
جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لا يسمى سخيا بل يسمى مبذرا ومضيعا .  
والسخاء في سائر الناس فضيلة مستحسنة . وأما في الملوك والاولياء  
فأمر واجب . لان البخل يؤدي الى الضرر العظيم في الاحكام .  
والسخاء والبذل ترتبط بهما قلوب الرعية والجند والاعوان فيعظم  
الاقتناع به .

( ومنها الشجاعة ) — وهي الاقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة الى ذلك ، وثبات الجأش ( أي القاب ) عند الخوف ، والاستهانة بالموت . وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو بالملوك وأعوانهم اليق وأحسن بل ليس بمستحق للملك من عدم هذه الخلقة . وأكثر الناس خطاراً وأحوجهم الى اقتحام الغمرات . هم الملوك والحكام . فالشجاعة اذاً من أخلاقهم الخاصة بهم .

( ومنها المنافسة ) — وهي منازعة النفس الى التتبع بلغير فيما يراه ويرغب فيه لنفسه . والاجتهاد في الترقى الى درجة أعلى من درجته . وهذا الخلق محمود . اذا كانت المنافسة في الفنون والمراتب العالية . أو فيما يكسب مجداً وسودداً . نأماً في غير ذلك من اتبع الشهوات واللباهة بالآلات والزينة وغير ذلك ، فكروه جداً .

( ومنها الصبر عند الشدائد ) — وهذا الخلق مركب من اوقار والشجاعة وهو مستحسن جداً ، مالم يكن الجزع نافعاً والحزن وانقلق مجدياً ، والحيلة والاجتهاد دافعة ضرر تلك الشدائد . فما أحسن الصبر اذا عذمت الحيلة وما أقبح الجزع اذا لم يكن مفيداً .

( ومنها عظم الحمة ) — وهراستصغار مادون النهاية من معالي الامور وطلب المراتب السامية واستحقاق مايجود به الانسان عند العطية والاستخفاف بأواسط الامور وطلب الغيات والتهاون بما يملكه وبذله لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به . وهذا الخلق

من خصوصيات الملوك والحكام . وقد نحنس بالروساء والمظلاء ومن  
تسمو نفسه الى مراتبهم . ومن عظم الهمة الانفة والحمية والغيرة .  
فالانفة - هي بعد النفس عن الامور الدنيئة . والحمية والغيرة معا ،  
والغضب عند الاحساس بالنقص . وتلقى الانسان الغيبة على الحرم  
لان في التعرض لمن عارا . ومنقصه . فان التعرض يحرم مهتضم  
لساحبين ومتصرف في غير حق له ، والاهتمام بقيمته . ومن أعظم  
الهمة الانفة منه . وهذا الخلق مستحسن جدا من جميع الناس .  
( ومنها العدل ) - وهو التمسك بالزهد للاستواء ، واستعمال  
الامور في مواضعها وأوقاتها ووجوبها ومفاديرها من غير سرف  
ولا تقير ولا تقية ولا تأخير .

- - -

## ﴿ فصل ﴾

في الانفاق لردية التي تعد نفاقا ومعاب .  
هذا لانفاق الردية التي تعد نفاقا ومعاب فان منها :  
( النفاق ) - وهو لانها في الشهوات والامتياز منها  
وايثا : اللات والادمن عليهما وانكسب فمواضعها .  
وبالجملة : السرف في جميع الشهوات . وهذا الخلق مكروه جدا يهدم  
الحياء وينهك بقاء ارجه وينتفح حجب ادمته .  
( ومنها السره ) - وهو السرف في اكتساب الأموال وجمعها



وطلبها من كل وجه ولو تبجح طريق اكتسابها والمناوشة عليها والاستثمار من القنية واذا خار الاعراض . وهذا الخافى مكروه من جميع الناس الا من الملوك والحكام ، فان كثرة الاموال والذخائر والاعراض تعينهم وتزيدهم هيبة في نفوس رعيته وأعدائهم وأعدائهم واضدادهم .

( ومنها النبذل ) — وهو اطراح الحشمة وترك النظرة والاكثار من الهزل واللغو وشاغلطة السهيا وحضور مجالس السيف والمنزل والندس والتفوه بالشداء وذكر الاعراض والمنز والجلوس في الاسواق وعلى قوارع الطرق واتكسب بالمعديس الزرية والمواضع للسفلة وهذا الخلق قببح بجميع الناس .

( ومنها السنه ) — وهو ضد الحلم وهو سرعة الغضب والطينس من يسير الامور والمبادرة في البطس والايقاع بالمؤذي والسرف في العزوبة واظهار الجزء من أدنى ضرر والسب الفاحش . وهذا الخلق مستقبح من كل أحد الا انه بالملوك والرؤساء أقبح منه .

( ومنها الجرق ) — وهو كثرة الكلام والنجرا من غير حاجة وشدة الضحك والمبادرة الى الامور من غير توقف وسرعة الجواب . وهذا الخلق مستقبح من كل أحد وهو بهل العا وذوى النباهة أقبح . ومن قويا — قللا الاحتسام لمن يجبر احتسامه والمجاهرة بالاجوبة الغليظة الغفلة المستنزمة . وهذا الخلق مكروه وخاصة بدوي ايقار .

( ومنها العشق ) وهو افراط الحب والسرف فيه . ومنها الخلق مكروه من تبع الناس . وأقبحه ، كن معروفنا الى الناس . واتباع شهوة . وقد يحمل هذا الخلق صاحبه على الفجور وارنك . الفواحش وكثرة البذل ولد الحية . ويسببه عادات رديئة . وهو بالكل قبيح إلا انه بالأحداث والمترفين المنجمين ألقب . اذا كن ميلا خالصا مما ذكرنا .

( ومنها القساوة ) وهذا الخلق مركب من البغض والسب . وهو انتهاون بما يلحق الغير من الألم والاذى . وهذا الخلق مكروه من كل أحد . الا من الجند وأصحاب السلاح والمتولي الحروب ، فمن ذلك غير مكروه إذا كان في موضعه .

( ومنها الغدر ) — وهو الرجوع عما بينه الانسان من نفسه ويضمن الرفاء به . وهذا الخلق مستقبح ان كان له حبه فيه من حبة ومنه . وهو بالملازمة والحكام أقبح وأضر لان من عرف منه بغير لم يركن اليه أحد ولم يثق به انسان ، فاذا لم يركز اليه فسد نظامه . ( ومنها الخيانة ) — وهي الاستبدال به . فومن الانسان عليه من الاموال والأعراض والحرم وتملك ما يسود . وتجب عنه ودعه . ومن الخيانة أيضا . اذا خبا اذا نسب الانسان لتدبيره وتخريف الرسل اذا حماها وصرفها عن وجهها . وهذا — أعنى الخيانة — مكروه من جميع الناس ويظلم اجده ويقطع وجوه الناس .

( ومنها افتناء السر ) — وهذا الخلق مركب من الخرف والخبابة .

فانه ايسر بوفور من لم يضبط لسانه ولم يتسع صدره لحفظ ما يستسر به . والسر أحدى اودائه وافدماؤه تقيصة على صاحبه . فانه من السرا خاف . وهذا الخلق قبيح جدا وخاصة بمن يسر بالملوك واولياء الامور ويتداخل معهم . ومن تبيل انشاء السر أيضا : النبوة والزميمة وهي ان يبلي انسان انسانا عن آخر قولاً مكروها . وهذا الخلق فبح جدا ولم يستسر أيضا بما يسمعه أو يباهه . فمقلد من يكره قبيح لان في ذاك ايقاع وحشة بين المبلغ والمبلغ عنه . وذلك غابة التشدد . ( ومنها الكبر ) — وهو استعظام الانسان نفسه واستحسان

مانيه من النضائل والاسهانة بالناس واستسغارهم والترف على ما يجب التواضع له . وهذا الخلق مكروء جدا ومفسد بصاحبه . لأن من أعجبته نفسه لم يستزد من اكتساب الأدب . ومن لم يستزد بقي على نفسه إذ أن الانسان لا يخلو من النقص فبال مدينة هي الى غلبة الكمال . وأينما كان هذا الفعل يفتنه عند الناس . ومن بغضه الناس ساءت أحواله .

( ومنها العبوس ) — وهو انقلب عند القوم وتناهبوا واظهار الكرامة . وهذا الخلق مركب من الكبر وغلاظ الطبع . فان قلة البساطة هي استهانة بالناس . والاستهانة بالناس تكون من الاعجاب والكبر . وقلة التنبه خاصة أيضا عند لقاء الإخوان تكون من غلاظ الطبع . وهذا الخلق مستقبح وخاصة برؤساء والناضل .

( ومنها الكذب ) — وهو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه . وهذا الخلق مكروه ما لم يكن لدفع مضرة لا يمكن أن تدفع إلا به أو اجتناء نفع لا غناء عنه . ولا يتوصل اليه إلا به . فان الكذب عند ذلك ليس بمستقبح . وانما يستقبح الكذب اذا كان عبثاً أو لدفع يسير لا خطر له ولا يفي بقباحته . والكذب فيصح بالملوك والرؤساء أكثر لان اليسير من النقص يشينهم .

( ومنها الخبث ) — هو اضرار الشر للغير واطهار الخير له رياء واستعمال الحيلة والمكر والخديعة في المعاملات . وهذا الخلق مكروه جداً من جميع الناس الا من الملوك والرؤساء فانهم اليه يضطرون واستعمالهم اياه مع اعدادهم واعدائهم غير مستقبح . فأما مع أوليائهم واصحابهم فانه غير مستحسن .

( ومن قبيل الخبث : الحقد ) — وهو اضرار الشر للجاني اذا لم يتمكن من الانتقام منه فيخفي ذلك الانتقام الى وقت الفرصة . وهذا الخلق من اخلاق الاسرار . وهو مذموم جداً .

( ومنها البخل ) — وهو منع المستعطي من القدرة على اعطائه . وهذا الخلق مكروه من جميع الناس إلا انه من النساء أقل كراهية بل قد يستحب منهن ذلك . أما سائر الناس فانه يشينهم وخاصة الملوك والعظماء وذلك لان البخل ييغض منهم أكثر مما ييغض من غيرهم ويقدر في حكمهم ويغضهم الى رعيته .

( ومنها الجبن ) — وهو توهم المخاوف وتمكينها في العقل بدون طائل وعدم الاقدام على الامور عند اللزوم والرعب من مواجهة ذوي الامر عند الاقتضاء . وهذا الخلق مكروه الا انه باجنود واصحاب الحروب مضر جداً .

( ومنها الحسد ) — وهو التآلم مما يراه الانسان لغيره من الخير ويحده فيه من الفضائل والاجتهاد في اعدام ذلك لغيره . هو له . وهذا الخلق مكروه وقبيح بكل أحد .

( ومنها الجزع عند الشدة ) — وهذا الخلق مركب من يرق والجبن . وهو مستقبح جداً اذا لم يكن مجبوراً عليه . وأما اضطراره للحيلة عند الوقوع في الشدة أو لاسفائة منه — أو اجبالاب معين للمساعدة فغير مكروه ولا يعد تقصصاً .

( ومنها صغر الهمة ) — وهو ضعف النفس عن تباب التراب العالية وقصور الأمل عن بلوغ الغايات واستكثار المسير من التفصيل واستعظام القليل من المطايا والاعتداد بذلك ورضى بواسطة الامور واصاغرها . وهذا الخلق قبيح بكل أحد وهو يملأ القلب والعقل . أقبح بل ليس بمستحق للاعتبار من صغرت همته .

( ومنها الجور ) — وهو الخروج عن العدل في جميع الامور كأخذ الأموال من غير وجهها الحلال والمطالبة بما لا يجب من الحقوق وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها ولا على القدر الذي يجب ولا على الوجه الذي يستحب . ومن قبل ذلك : السرف والمبذير أيضاً .

## ﴿ فصل ﴾

« في بعض الأندراق التي تكون في بعض الناس فضيلة »

( وفي بعضهم رذيلة )

( منها حب الكرامة ) - وهو ان يسر الانسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمدح والثناء الجميل . وهذا الخلق محمود في الاحداث والعديان لان محبة الكرامة تحثهم على الرغبة في اكتساب الفضائل . وذلك ان الحدث والصبي اذا مدحا على فضيلة وجدت فيهما ، كان ذلك داعيا لهما الى الازدياد في الفضائل . واما الافاضل من الناس فنذلك يعدّ منهم نقيصة ، لان الانسان انما يمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه . أما اذا كان من أهل الفضل ، فلا ينبغي ان يسرّ أو ان يستغرب ما يظهر منه من الفضائل . وكذلك الأكرام والتبجيل اذا كان زائداً على استحقاقه فانه يجري مجرى الملق ، والسرور بالملق غير محمود لانه من جنس الخديعة

( ومنها حب الزينة ) - وهو ان يصنع لبس ثياب الفاخرة وركوب الخيل وكثرة الخدم واحشام وهذا مستحسن من الملوك والعظماء والاحداث والفرفاء والنساء . قام الرهبان والزهاد والشيوخ واهل العلم وخاصة الخطباء والواعظون ورؤساء الدين ، فان التعصم والزينة مستقبح منهم . والمستحسن منهم هو لبس الخشن وكرهية التنعيم وزوم بيوت الصلاة .

( ومنها المجازاة على المدح ) - وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل . وهذا الخافى مستحسن من الملوك والرؤساء لانه يدعو المادح الى الازدياد في مدحه فيكتسب المدوح ذكراً جميلاً يبقى الى الدهر . ومن فضائل الملوك والرؤساء ، بهاء ذكرهم الجليل . واما محبتهم سماع المدح من المادح مواجهة . فذلك غير مستحب منهم لانه من جنس المني . وحب المني مكروه لكونه من قبل الخديعة كما تقدم . فأما ايثارهم فهو انتشار ذكرهم ومدحهم وتناول الناس له وبقاؤه بعدهم . ومجازاة المادح سنة من الملوك ومنعهم مستقبل وعار عليهم ، لان ذلك يدعو الى ذمهم وذمهم يبقى أيضاً الى الدهر فينشئ لهم ذكراً قبيحاً . وذلك مكروه من الملوك والرؤساء . أما أصاغر الناس فحببتهم جزاء المدح لهم غير مستحسن ، لان المادح اذا مدح النبي من الناس فتمت بئذئذ . فاذا اجزاه اعتقد انه أخذ منه تلك الجائزة بالحيلة . وكثير من الناس اذا مدحوا بها ليس فيهم يبادرون الى مجازاة المادح فيكون قد وضعوا الشيء في غير موضعه ، فلو صرفوا ذلك الشيء الى غيره وأهل المسكنة كان ذلك أجمل بهم وأليق .

( ومنها الهدى ) - وهو قلة الرغبة في الأموال والادخار وغيرها وايتثار القناعة بما يقيم الرمي والاسخفاف بالمال ومحبته ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراتب العالية واستغناء الملوك ومالكيتهم وأرباب الاموال وأموالهم . وهذا الخلق مستحسن جداً من العلماء ورؤساء

الدين والخطباء وانواعظين ومن يرغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت . فأما الملوك والعظماء فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لائق بهم لان الملك اذا أظهر ازهد صار ناقصاً إذ ان ملكه لا يتم الا باحتشاد الاموال والاعراض وإدخارها ليدير بها مملكه ويسون بواسطتها حوزته ويفتقد بها رعيته . وهذا مضاد للزهد . فانه اذا ترك الادخار أبطل ملكه ومار معدودا في جملة الملوك الحائدين عن طريق السياسة .

فمنه الأقسام التي ذكرناها هي اخلاق جميع الناس .

أما المدحاة منها المعدودة فضائل - - فقلما تجتمع كلها في انسان واحد . وأما المذمومة منها المعدودة نقائص ومعايب - - فقلما يوجد انسان ينلو من تبعها حتى لا يكون فيه خالق مكرهه ، وخاصة من لم يروى نفسه ويؤذيها . فان من لا يعمل انشط نفسه وبمقدعيوبه لم يخال من عيوب كثيرة ، وان لم يحس بها ولم ينفذ اليها . واذا كنت احداً مما ذكره كن أولاً الامور بالناس ان تنقد اخلاقه وبمل عيوبه ويحتجب في اصابعه وانها عن نفسه ويتبع الاخلاق المحمودة وبمل نفسه عن عيوبه وينافق بها . لان من انما يفاضل بين الاخلاق ويتطلب لها كماله عند الجهد وخدمة انهم يفاضلون بينه وبينه وموانه وكثرة ذنوبه . ومخبر أكثر الناس بالأموال والسمائر والآلات وفيهم من ينفذ وذوي الجاه ليس في محبة . وذلك لان كثير من الناس ينفذ به في حواسه . وأما نفوسهم الا تكون من نفوسهم بكثرة الذنوب . وذلك لان



الفاجر السفیه الجاهل الشریر ، وان حوى أموالاً عظيمة فلا يكون بأفضل من العفیف الحکیم الخیر العالم ، ولو كان فقيراً . بل انما يتون بكثرة أمواله أغنى منه اذا كان ذال معسراً فقيراً . وأما التفاضل الحقیقی فلا يكون الا بكثرة الفضائل فقط . ولكن ان اجتمع بالانسان مع الاخلاق الجميلة والعادات المستحسنة الغنى والثروة أبداً ، فاعلم ان انه يكون أحسن حالاً من الفاضل المعسر . لأن من سعادات الانسان وخاصة اذا كان فاضلاً عادلاً عفيفاً يصرف ماله في وجهه وينفقه في حقه ويتفقد به من يجب تفقده وبسوء به أمل المسكنة ولا يتقاعد عن حق يجب عليه ولا يتهامل في مكرمة يريد ان يحماسه . أما الناقص الجاهل السيئ العادات فان الغنى ربما زاده قسوة وعيوباً وأضاف الى معائبه عيوباً أخرى . ولا بد من زيادة من له مال وان كان البخل من طبيعته . لأن فقره ينفي ذلك منه . ومقرنه يظهر منه هذا الأمر فلا يعاب عنه لأن الانسان لم يحب بما ينظر منه . وأما من كان ذا مال وإيساراً ونجدة ، فهو بحله في السر والعلان جالباً عليه عاراً . وأيضاً فإن أكثر المنجور والمخطورات والسيئات الرديئة لا تنال غالباً الا بالأموال . فالفقير المذموم وان كان نجوراً فلا يكاد يظهر ذلك منه . أما اذا كان ذا مال تمكن من سوءه وان ظهر حينئذ عيوبه . وبناء عليه يكون الغنى مكسباً لصاحبه احساناً وعيوباً ونقائص والنقصان فضائل ومحاسن . فينتج من ذلك ان الانسان اذا تامل حقيقة بالاموال والذخائر ، بل انما يتفاضلون بالآداب والمحاسن الذاتية . فالخليق بالانسان ان يسوس نفسه بالآداب المستحسنة ويسلك بها

الطريق المحموده فانه بذلك يكون محبوباً عند الناس مقبولا لديهم  
معظم في نفوسهم مفضلا عن غيره موقراً عند الرؤساء والملوك مقبول  
اقول عظيم الجاه. فهذه هي حالة العظمة الحقيقية المكتسبة بالاموال.  
لان المال قد تاحقه المصائب . فاذا فارق صاحبه سقطت منزلته من  
نفوس الناس وساوى العامة والسوقة . وذلك لان المعظم له كان ماله  
لا نفسه . فمضى زال ذلك المال لم يبق له شيء يعظم من أجله وليس كذلك  
العامه النفيس الفاضل المذهب الاخلاق لان عظمته بفضائله وهي غير  
منافذله . فهو معتبر دائماً ومعظم من أجل ذاته لا لشيء خارج عنه .  
وبما ان الراغب في سياسة نفسه المؤثر تهذيب أخلاقه اذا نبه على خلق .  
مذموم وجد فيه وأحب اجتنابه . ربما صعب عليه الانتقال عنه من  
أول وهلة . وربما لم ينل التخلّص منه ولم يطاوع طبعه أو ربما استحسن  
أيما خلقاً محموداً لا يراه لنفسه وأمر التخلق به لم تسمح له عادته ولم  
يصل الى مراده . لذلك وجب ان يرسم للراغبين في السياسة المحموده  
طرقاً يندبرون بها وتدرجون فيها حتى ينتهوا الى مرادهم من اعتياد  
ان اخلاف الجبلة والا طبع عابها وتجنب الاخلاف القبيحة وتنبذ منها .  
وهداه كبر في الارتياض بالاخلاق المحموده وتعمل لاعتيادها  
لكي يمكن للراغب المؤدب ان يتخلى بها . فنقول :

وهذا ذكرناه فيما تقدم من سبب اخلاف الاخلاق في الناس هو  
اختلاف فوي الناس ثلاث مهيبة . وهي استهوانية والغضببة والناطقة .  
وان اصلاح الاخلاق هو زيل سهوانية منها والغضببة وتميز عادات

النفس الناطقة واستعمال المحمود من أفعالها . فطريق التدرج لاستعمال  
 العادات الجميلة والعدول عن العادات القبيحة هو التدرج في تذليل  
 هاتين القوتين . أما النفس الشهوانية فالطريق الى قمعها ان يتذكر  
 الانسان في أوقات شهواته وعند شدة العزم الى لذاته انه يريد تذليل  
 نفسه الشهوانية فيعدل عما تآقت نفسه اليه من الشهوة الرديئة الى ما  
 هو مستحسن من جنس تلك الشهوة ومتفق على ارتضاءه ويقتصر  
 عليه . فان لم تنكسر شهواته يعللها ويعدها فان سكنت انتصر ولا  
 عاود الفعل من الوجه المستحسن . فانه اذا فعل ذلك وكرره كانت  
 النفس ، واذا استمر على هذه الحال الفت هذه العادة وتأنست بها  
 واستوحشت مما سواها . وينبغي لمن أراد قمع نفسه الشهوانية ان  
 يكثر من مجالسة الزهاد والرهبان والنسك وأهل الورع والبراءة  
 ويلتزم على مجالس الرؤساء وأهل العلم . فان هؤلاء - وخاصة رؤساء  
 الدين يعظمون من كان معروفاً بالعبادة ويستزرون من كن دجراً  
 منهم . فمجالسته وملازمته لهذه المجالس تنطرد اليه من غير  
 والتجمل لذوقهم لئلا يستزروه ويغضبوا منه . ويأسق برتبة من يعظم  
 في المحافل والمجالس . وينبغي له ايضاً ان يدين المنكر في كتب الاختيار  
 والسياسة وأخبار الزهاد والرهبان والنسك وأهل الورع والتب  
 مجالس الخلفاء والسفهاء والمذمكين ومن يكثر الشغل والعبادة .  
 يلحق برتبة ويعظم في المحافل . وأكثر ما يجب له ان ينبغي سكره  
 فانه مما يثير نفسه الشهوانية ويقربها ويحبها على تهتات والارتكاب

الخواص والمجاهرة بها وذلك ان الانسان انما يرتدع عن القبائح بالعقل  
 والتمييز . فذا سكر عدم ذلك الذي كان يردعه عن الفعل القبيح .  
 وحينئذ لا يبالي بارتكاب كل ما كان يتجنبه في حال صحوه . فأولى  
 الاشياء بمن يطلب العفة هجر الشراب بالكلية وان لم يمكنه ذلك  
 فليقتصر على اليسير منه ويكون في الخلوات أو مع من يحسنه .  
 ويتجنب مجالس المجاهرين بالشراب والسكر والخلاعة ولا يظن انه  
 اذا حضر تلك المجالس واتصر على اليسير من الشراب لم يضره ذلك  
 لان هذا غلط مبين . وذلك ان من يحضر مجالس الشراب لا تنقذه  
 نفسه الى القناعة باليسير منه بل ان حضرها وكان في غاية العفة تاركاً  
 "سرب متمسكاً بالذرة حاشه شهوته على انتسبه بأهل الخباس وتقت  
 انسه الى التهلكة وه . أكثر من فعل ذلك التهلكة بهما السحر والخبث .  
 فشر الأحوال بمن يطالب العفة حذره هكذا مجالس ومخلطة أهلياً  
 وانما يشتر من مدرستها . وينبغي ان أراد قبة نفسه الزهوانية ان  
 يقل من استمن عند وخادمه من النساء المحمات وشبهه بظرفه  
 ذن للسمعة قوة عظمة . انزل الشهوة . فكيف الزانف الى ذلك  
 ان تكون العفة مستمرة وه سعة رسله لاسمته ليون ايها .  
 ان يتبع في سبيل حوائث كثيرة ربما يستلذذ جميعها  
 عن نفسه . فلا يول ذ . غير يتجر شهوة ان يتجنب سماع وان لم  
 يمكنه منه به . ولا تسمح له نفسه الى هجره بالكلية . فيقتصر على  
 استماع من أرجو ان لا يضل شهوة نية . والافلان منه خير

وانصف للمتعفف . اما الطعام فينبغي ان تعلم ان غايته هو الشبع لدفع ألم الجوع ، وفاخر الطعام ودينه ببيعها مشبعان ، فليس للمبالغة في تجويد الطعام الكثير حفظاً ولا فائدة . والاولى هو التوسط في انواع المأكول وان يكون من الجنس الذي نشأ عليه الانسان واعتاده والله ، الا ان شهوة الطعام والنهم فيه وان كانت من الاخلاق الرديئة فهي خفيفة لا تكسب صاحبها من العار ما تكسبه عجة الشراب والباضعة ومعاشرة النساء أهل الخلاعة ومصاحبة الأحداث المتهين للذواجن . فان ذلك في غاية القبح . فشهوة المأكول أذل فبحر منه وأخف على فاعلها وعموم ذلك قبيح والاستهتار به وكثرة النهم فيه مكروه . فطريق التدرج الى الاقتصار في الطعام هو ان يبادر ذو الشهوة الى أي شيء وجدته من المأكول ، فان كان المشتكى الذي تمت نفسه اياه حلواً فالى اية حلاوة وجدها . وان كان غير ذلك فلى ما يستبه من الطعام فانه اذا تناول الانسان من ذلك تكرر او جمع منه سكنت شهيته وكفت نفسه بعد ذلك .

وينبغي لمن أحب العفة أن يكون أبداً متيقظاً ذا كرامة لا ياتقى الفاجر والنهم والشره والمتهتك من القباحة والعار في الدنيا سبباً لذلك ديدنه وشعاره ومداوماً على ذكره فان نفسه جيدة . تبغض الشهوات الرديئة وتشتاق الى التعفف والتقنعة وتطلب عند العدل عن الفواحش مع القدرة عليها وترتاح لما ينشر عنها وما يبلغها عن الناس من اثناء الجليل على صاحبها . فهذا هو طريق رياضة النفس

الى قهر القوة الشهوانية وتذليلها وقمعها . أعني طريق الارتياض  
بالمعادن المحمودة المرضية فيما يتعلق بالشهوات واللذات الدنيئة .

فأما النفس الغضبية فان طريق قمعها وتذليلها هو أن يصرف  
الإنسان همه الى تنقذ السفهاء الذين يسرع اليهم الغضب في أوقات  
طيشهم وحدثهم ويلاحظ تسفههم على أخصامهم وعقوبتهم لخدمهم  
وعبيدهم فانه يشاهد اذ ذاك منظاراً شنيعاً يأنف منه الخاص والعام  
وان يتذكر في أوقات غضبه وعند جنائيات خدمه وعبيده ووثوب  
اخوانه واودانه في جميع محاوراته ومعاملاته ما شاهده من أولئك .  
فانه اذا تفكر فيما كان استغفقه منهم فتكسر بذلك ثورة غضبه  
ويجبر عما هم بالاقدام عليه من السب والاثوب ، فان لم يكف  
بالكيفية قصر ولم ينتبه الى غاية القبح .

وينبغي لمن أراد أن يقهر نفسه الغضبية أن يتذكر في أوقات  
غضبه على من برذهه أو يتجنى عاياه انه لم يكن هو الجاني ما الذي كان  
يستحق أن يقابل على جنائياته . فانه بهذا الفعل يعنى . أن دركك  
الجناية وذلك لأذى يسببها . فاذ اغتفرت . ذك كنت مقبلة  
للاجاني المؤذي بسبب عقده خفيفة . وحينئذ لا يسرف في الانتقام  
ولا ينفذ في الغضب فنى نعم ذلك دلت وجه ديدنه وتنقذ معائب  
السفاه . ومن يسرع اليه الغضب لم بعد أن تنكسر نفسه الغضبية  
وتنقذ الله . وذا السهر على هذا العمل مدة صار له خلق وعادة .

وينبغي لمن رغب في تذليل نفسه الغضبية أن يتجنب حمل السراح

في مجالس الشراب وحضور مواضع الحروب ومقامات الفتن ومجالسة  
الاشرار ، وان يتجنب أيضاً معاشرة ومخالطة الشرطافان هذه المواضع  
تكسب القلب قساوة وغلاظاً وتعدمه الرأفة والرحمة فتقسو لذلك نفسه  
الغضبية . فاذا كان يريد تذليلها وتسكينها يجب عليه أن يجعل مجالسته  
لاهل الوقار والشيخوخ والرؤساء والافاضل ومن يقل غضبه ويكثر  
حلمه ووقاره .

وينبغي له أيضاً أن يتجنب المسكر من الشراب فانه يهيج النفس  
الغضبية أكثر مما يهيج النفس الشهوانية ، لان السكران ربما أسرع  
الى العريضة والوثوب على جلسائه والاستخفاف بهم وسبهم وذكر  
أعراضهم بالقبح بعد ان كن يتحنن عليهم ويتودد اليهم ، ولا يكون  
بين الرقتين الا مقدار ما يستحكم به السكر . فالسكر والحالة هذه  
مير القوة الغضبية ومنه لها . فمن اراد أن يقهر نفسه لثبته . فلا  
بد له من أن يتجنب السكر . وان تكن منه هجر الشراب ككافة  
فهو أصاح لقهر النفس الغضبية والشهوانية به .

وينبغي لمن أراد تمايل ثوبية الغضب أن يتجنب الشرب . ان يساهل  
في حبه ، بفناء الفكر ولا تلهيه به . ان يمتنع من زيارته  
ويجمل المنكرة واتباع الرأي دينه وعدله . ان يرى وجودة  
فكر يقهر بها نفسه وروحه . وان يتجنب على شهوة  
واتباع الآفات . فذا استقمحت ذاته من ذلك ، فله ان يرى  
والفكر ، ومن يرتفع بالكتابة . فله بدته من ان يرى ذاته قد صرحت .

يريد الإسراع اليه . وملاك الامر في تهذيب الاخلاق وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية هو النفس الناطقة فان بهذه النفس تكون جميع السياسات . فاذا كانت قوية متمكنة من صاحبها أمكنه أن يسوس بها قوته الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح ويتبع أبداً محاسن الاخلاق . واذا لم تكن تلك النفس قوية في صاحبها كانت مغمورة خافية .

فأول ما ينبغى أن يعتمد العاقل في سياسة أخلاقه هو أن يروض تلك القوة ويقويها . وهذا انما يكون بالعلوم العقلية فانه اذا نظر في تلك العلوم ودقق النظر فيها ودرس كتب الاخلاق والسياسة وداوم عليها تبقيت نفسه وتأنبت من شهواتها وانعنت من غمورها وأحست بفضائلها وأنفت من رذائلها . وذلك لان تلك النفس انما تضعف وتنفذ اذا عدت الفضائل والنقاب واستوات عليها الرذائل والخسائس . ام اذا اقتنت الفضائل واكتسبت الآداب تفيض من غسيتها وثارت من سكرتها وقوات بعد ضعفها . أهـ فضائل نيت فهي 'علموه المقابلة وخدعة مدفن منها . فذا ارضى الانسان به سترت نفسه وعظمت همة ودوى سكره وتكاثر من سكره بمراد حارقه ودر على اصلاحه وبقاد له جميعه وسهل له تهديده وشدته له في الغضبية والشهوانية ومن سكره به من وقع به .

فأول ما ينبغى أن يعتمد العاقل في سياسة أخلاقه هو أن يروض



في كتب الاخلاق والسياسات ثم الارتباط بمعلوم الحقائق فان  
أشرف ما يكون هو ادراك النفس حقائق الامور وأشرفها على هيات  
الموجودات. فتشرفت نفس الانسان وعات همته رقي الى مراتب الفضل.  
ومما يصلح النفس الناطقة ويقويها أيضاً مجاسة أهل العلم وشأنهم  
والاقتداء باخلاقهم وعاداتهم وخاصة أصحاب علوم الحقائق والمبطلون  
منهم المستعملون في جميع أمورهم ما تقضيه علومهم ورحبه عفوهم.  
اما تمييز عادات النفس الناطقة واستعمال ما حسن فيها واضراح  
ما قبح عنها فذلك انما يمكن ويتسهل اذا راض الانسان نفسه الناطقة.  
فان النفس الناطقة اذا ارتاضت بالعلوم الحقيقية وتمتعت وتسرفت  
انفتحت من العادات المستقبحة وتزهت عن التمدنيس بها ، فهون حينئذ  
على صاحبها أن يتجنب ما يستكره من عاداتها ويقلب عليه اسرار  
الاخلاق الجميلة والتخلق بها . فقد تبين اذاً من جميع ما ذكرناه ان  
طريق الارتياض بالاخلاق المحمودة والمنفعة لا عتبهده واتباع محمود  
المرضي منها واجتناب المذموم المنقبح وتذليل قوة الشهوة الغضبية  
وضبطها وقهرها هو اصلاح القوة الناطقة وتقويتها ونحاشها بالفضائل  
والآداب والمحاسن فان ذلك هو آلة السعادة ومركب الرضاة . ومن  
لم يتمكن من اكتساب العلوم العقبة والامعان فيها وتوهم عليه ذلك  
فاينذل جهده في تدقيق الفكرة ومجاهدة النفس وبصور رقي ما  
بين عاداته القبيحة والجميلة ونظر أيهما أجدى عليه وجمع له وأنها

أحمد عقبة وأبقى على الأيام . فانه اذا صدق ما تأكدته نفسه وجد  
ان شهوانه ولذاته انما هي مدة وقت استعمالها فقط . أم بعد منازعتها  
فلبست يباغية عليه ولا نافعة له ، ويجد عارها وشينها باقيا الى الدهر  
متداولاً فيما بين الناس يعاب به ويؤذي عليه ، وكذلك في سعة  
الغضب والاسراع الى الانتقام والسب والتمسح . ففى انخلت عمرته  
وسكنت نوره تأمل أمره فرأى ان ما فعله كان فبيحاً ولم يجده مجدياً  
ولا مفيداً وقد صار ما فعله وقت الغضب تقمعة يصم بها ومعمرة  
يسب عليها ، وربما ارتكب حال الغضب جنابات كثيرة يعاقب عليها  
ويؤذي من أحباها . كذلك العادات المكروهة في نفس طائفة من  
أهل غير نعمة ولا محبة للانسان نفعاً كالخسوف والملا والحق والحب  
وامثال هذه اذا لا يسمع بها صاحبها وان اسمع كان شر من نعمة ومع  
ذلك يهيئ نفسه له لان من يشر به من حسن دسره و...  
لا دسره و... والاب لا يريه ويوقوه واحذروا منه وأكرموا...  
وقدروا... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر...  
كذلك... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر...  
أكبر من... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر...  
علم ان... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر...  
يعاد... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر...  
جد... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر... واحذر...

بالضرر الكثير والعار الدائم المتصل . واعلم أيضا ان الحسد والخبث  
يجابان عليه الشر ويوحشان منه الناس ، فاذا دام وأكثر الذكر في  
هذه الأمور قوى في نفسه اتباع محاسن الاخلاق وسهل عليه اطراح  
مساوئها ومقابحها وغلب عليه الخير والسداد وفزع من العيب والعار .  
واذا فعل ذلك دائما لم يلبث أن تصاح أخلاقه وتحسن طريقته وتهذب  
شماله ويلحق برتبة أهل الفضل ويتميز عن أهل الدناءة والنقص .

وينبغي لمن أراد سياسة أخلاقه أن يجعل غرضه من كل فضيلة  
غايته ونهايتها ولا يقنع منها بما دون الغاية ولا يرضى الا بأعلى  
درجة فانه اذا جعل ذلك غرضه كان حرياً أن يتوسط في الفضائل  
ويلبغ فيها رتبة مرضية ان فاتته الدرجة العليا . وأما ان قنع بالتوسط  
لم يأمن أن يقصر عن بلوغه فيبقى في ادنى المراتب ويفوته المطلوب ولا  
يطمع أبداً في التمام .

فهذا الذي ذكرناه هو طريق الارتياض بمكارم الاخلاق ومنهيج  
التدرج في محمودها وكيفية تهذيبها فاذا أخذ الانسان بتدريب نفسه  
به وأكثر من مراعاته وتعهدده صارت له الفضائل ديدنه والمحاسن  
خالقاً وطبعاً .

هذا وقد بقي علينا أن نذكر أوصاف الانسان التام الجامع  
لمحاسن الاخلاق وطريقته التي يصل بها الى التمام ، فنقول : ان  
الانسان التام هو الذي لم تفتقه فضيلة من الفضائل ولم تسنه رذيلة

من الرذائل . وهذا الحد قلما ينتهي اليه انسان ، واذا انتهى اليه  
 افترس . لكن بسلامة أسببه منه بالناس . وذلك لان الانسان مضروب  
 بنوع النقص مسنون على طبعه ضروب الشر . وبناء على ذلك قلما  
 ياتى من : معها . حتى تسلم نفسه من كل عيب ومنقصة وتحيط به كل  
 ذنوبه . ومنقبة حسنة . فالتام وان كن عزيزاً بعيد التناول الا انه ممكن .  
 وهو نوبة ما ينتهي اليه الانسان . فاذا صدقت عزيمته وأعطى الاجتهاد  
 حقه . كان ممكن له ان ينتهي الى الغاية المقصودة المتهىء هو لها تلك التي  
 تسود نفسه اليها .

أما تفصيل أوصاف الانسان التام المذهب الاخلاق الجامع للمحاسن  
 الظرفية فهو ان يكون متقدماً لجميع أخلاقه متيقظاً لسائر معائبه متحرراً  
 من دخول نقص عليه . مستملاً لكل فضيلة ، مجتهداً في بلوغ الغاية  
 عاتقاً لضرورة الكمال مستلذاً بمحاسن الاخلاق . متيقظاً لذنوب العادات .  
 معتنياً بتهديب نفسه غير مستكثر لما يقتنيه من الفضائل . مستعظماً لليسير  
 من الرذائل . مستصغراً للرتبة العليا . مستحقراً للنانية القصوى ، يرى التمام  
 دون محله والكمال أقل أوصافه .

أما الطريقة التي توصله الى التمام وتحفظ عليه الكمال ، فهي أن  
 يصرف عنايته الى النظر في العلوم الحقيقية . ويجعل غرضه الاحاطة  
 بدهيات الأمور الموجودة وكشف عللها وأسبابها ، وتفقد غاياتها  
 ونهاياتها . ولا يقف عند غاية من عمله الا ويرمق بطرفه الى ما فوق

٤ - تهذيب الأخلاق

تلك الغاية . ويجعل شعاره لبلة ونهاره قراءة كتب الأخلاق وتبليغ  
كتب السير والسياسات ، وأخذ نفسه باستعمال ما أمر أهل الفضل  
باستعماله وأشار المتقدمون من الحكماء بعبارة ، وبسببه أيضاً خرف  
من أدب اللسان والبلاغة ، ويتحلى بنوع من انصاف واحتياطة وخش  
أبدأ مجالس أهل العلم والحكمة ، ويعاشر دائماً أهل الأوفى والعفة .  
هذا إن كان من عوام الناس . وأما إذا كان ملكاً أو رئيساً ، ينبغي له  
أن يجعل كلاً من جلسائه ومندوبيه وأعوانه والمحققين به من أهل  
العلم والأدب ، موصوفاً بالحكمة والوقار موسوماً بالفهم والقطعة .  
ويقرب مجالس أهل العلم ويستهلهم ويكثر من مجالستهم والأدب بهم  
ويجعل انبساطه وتفكيره مذاكرتهم في العلم وفنونه أو سياسته ، لأن  
ورسومه وأخبار الحكماء وأخلاقهم وسير الملوك الأخيار وعادتهم .  
وينبغي للإنسان أن يظلم يطالب التمام أيضاً أن يجعل له هوانه ولذاته  
قانوناً راتباً يقيده به لئلا يتبدل فقط ويتجنب السرف والافراط ويعتد  
من الشهوات واللذات على ما كان من ترجوه لرضاه المستحسنة  
ويعود نفسه بذلك ويحصر عليها العلم في لغة مكروهة أو سهوة  
مسرقة ، ويهجر أصحاب اللذات ومعارضتهم ويتعدى عن اخذهم ويحذرهم .  
ويعتبر في نفسه أن الشهوة عدو مكاشح وخضعة مكنية ، لا بد اضرامه  
وأذيته وشينه وفضيحته فيصاب شهوته من جهة العدو ويبتاعها  
بالمعاناة ويقدم أبدأ سلطتها ويكسر دائماً حشيتها ويقهر عن المواد  
سطوتها وينال على التدرج عزها ويسكن على الترتيب سديتها . فإنه

إذا فعل ذلك كان خافاً. بأن تملك نفسه وتنفذ له شهوته وينطبق على العفو والتائب. من سيرة. وأما إذا أرغى لشهواته عنانها وسمح لها في مرادها وتعالى بسببها ودرأ عنها استغاثات عليه وشتمت ولم تلبث أن برهن صحتها وتعوده وتحمها من سوءه ويفرغ ، فيجبر بذلك ميدان من جهة غير ذلك في الكمال .

وينبغي أن يعلم أن جواب تمام أن يعلم أنه لا سبيل له إلى بلوغ غرضه ما دامت له هذه مسحة وسيرة أبله مسحجة . وهذه الحالة صعبة جداً. فمصر عن صاحب الزمان وتبعها بيدة اتخذها . وهي عن المير والرواية . وأبعد . وذلك لأن المير والرواية أقدر من غيرها على الإذات واسدتم منها من الشهوات . وهي الدوام هي معروفة لهم . وقد ذكرت في بالاعين عليهم سجية وطبع . شارقةها وإذاتهم . فلهذا رايهم وإرادتهم عذاب ممتنع خاصة لمن قد نشأ فيها وشبهت عليها . إذ أن الملوك وإن كانوا أقدر على الإذات وأكثر اعتباراً ، كما مر إلا أنهم أعظم همماً وأعز نفوساً فإذا سمحت نفس انكثت إلى التمام الانساني واستاقت إلى الرياسة الحقيقية ، علم أن الميت أحق بأن يكون أتم أهل زمانه وأفضل من أعوانه ورعيته . فيكون عليه حينئذ مزاولة الشهوات الرديئة وهجر الإذات الدنيئة .

وينبغي أيضاً لمن رغب في سياسة أخلائه وأحب أن يسلك طريق الاعتدال في شهواته أن يجعل له قانوناً يقتصر عليه في المأكل والمشرب خمسون مؤسس على الجود والتأمر غير متبدل بنفسه حين المأكل

بل مشاركاً غيره في ماله ، هذا ان كان من الرعية والعوام . وأما اذا كان ملكاً أو رئيساً فينبغي له ان يجلس على مائدته حين الأكل أصحابه وأعوانه ويتفقد بفضلاته أهل الفقير والسكنة وخاصة من سبقت له معرفة أو تقدمت له حرمة ، ويصرف همته في مباسطتهم وموائستهم مظهراً الفرح والسرور بهم . وليتحرز كل التحرز من أن يبدو منه امتنان بالطعام والشراب أو اعجاب وتفاخر فان ذلك يزرى به ويغض منه ويوحش من يخشاه ويقطعهم عنه . وقد يستحسن من الانسان أيضاً اذا كان مقلداً أن يواسي بطعامه وشرابه اخوانه وأصحابه بحسب امكانيته وماتصل اليه يده . ويستحب منه خصوصاً أن يواسي به الفقراء والضعفاء .

وينبغي لمن طلب السياسة التامة ان يستعين بالمال ويحتقره وينظر اليه بالعين التي يستحقها . وذلك لأن المال انما يراد 'غيره لا لذاته . فانه في نفسه غير نافع بالكلية . وانما الانتفاع بالأغراض التي تنال به . فالمال والحالة هذه آلة تنال بها الأغراض ، فلا يجب أن يعتقد ان اقتناؤه وادخاره مفيد في ذاته وذلك لانه اذا دخر وحرس عليه لم ينل صاحبه شيئاً من الأغراض التي هو بالحقيقة محتاج اليها . فالمال اذا يطلب لغيره لا لذاته كما تقدم . وينبغي للسديد الرأي العالي الهمة ان يزنه بوزنه فيكسبه من وجهه ويفرقه في وجهه ويكون مع ذلك غير متوان في اكتسابه ولا متكسل في طلبه . لأن عدم المال

منضرة الى تواضع من هو دونه اذا وجد عنده حاجته . ووجود  
 البغضاء عن هو نوقه ولو دنت منزلته . ويكون أيضاً غير متمسك  
 به بل يصرفه في حاجاته وينفقه في مهماته ويقصد الاعتدال في تفريقه  
 ويحذر من السرف والتبذير في خروجه . ولا يمنع حقاً يجب عليه .  
 ولا يصرفه في شيء لا يجب ولا يشكر عليه . واذا فرغ من حاجاته  
 واستكفى من نفقاته وسد جميع خلله عاد الى النظر في أمره . فان  
 بقي من ماله بقية فاضلة عن مهمه أغرانه أخرج منها قسطاً للضعفاء  
 والمساكين وأهل الفاقة المستورين . ويجعل اهتمامه بأفضاله وبره  
 أكثر من اهتمامه بضرورياته . هذا إن كان من أواسط الناس . أما  
 الملوك والرؤساء فانهم أحق بهذه السياسة بل وفضلاً عن ذلك يجب  
 أن يكونوا أشد عناية من غيرهم فيجتنبوا أموالاً من حقها ووجهها  
 ويصرفوا منها في نفقاتهم ومؤناتهم وأرزاق جندهم وأصحابهم قدر  
 الكفاية من غير سرف ولا تقتير . ويدخروا منها شطراً لخوف عاقبة  
 ويصرفوا الباقي في طرق الكرم والجود ووجوه الخير والبر ، فيعطوا  
 أهل العلم على طبقاتهم ويجعلوا لهم دوائق من خواص أموالهم ويدفعوا  
 شيئاً لمن كان مثابراً على العلم والأدب ، ويبروا الضعفاء والمساكين  
 ويفتقدوا الغرباء ويهتموا بأولي الزهد والنسك ويخصوهم بقسط من  
 أفضالهم وانعامهم ، ويعنوا بالصغير والكبير من رعيتهم وينفقوا في  
 مصالحهم شطراً من أموالهم . فان الملوك أولى بالكرم من الرعية



وأحق بالجود من العامة . وقد يستحسن أيضاً من القايين والمقترين  
المواساة بالمال والايتار به ، وإن كانوا محتاجين إليه . وكل ما كانت  
حاجتهم إليه أشد كان ذلك الفعل حسناً منهم . وهذه الحالة تستحسن  
خصوصاً إذا رأى الانسان أخاً من اخوانه أو صديقاً من أصدقائه  
قد دعت الحاجة الى ما لا يقدر عليه لاصلاح شيء من شأنه أو لم يدفع  
محنة نزلت به وكان هو قادراً على ذلك التقدير من المال . فبذلك  
حينئذ باسعافه من غير مسئلة . فان فعل هذا الفعل مع الغريب الذي  
لا يعرفه ولم تسبق له محبة ولا مودة كان جليلاً مستحسن .

وينبغي لمن يحب الكمال ان يشعر نفسه ان الغضب ان هو بمنزلة  
البهائم والسباع ، يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية . فاذا جرى بينه  
وبين غيره محاورة أدت الى أن يغضب خصمه ويسففه عابه اعتقه . انه  
اذ ذاك انه في تلك الحالة بمنزلة البهائم والسباع . فيمسك من مقابله  
ويحجم عن الاقتصاص منه حيث يعلم ان الكتاب لو نبه عليه لم يكن  
يستجيز مقابله على نبهه . وكذلك البهيمة لو جمحت ورمحت لم  
يستحسن عقوبتها ، حيث انها غير عالمة بما تفعله الا ان يكون جاهلاً  
سفيهاً فان من السفهاء من يغضب على البهيمة اذا رمحت ويوجعها .  
ضرباً اذا أذته وربما عثر السفيه فشم موضع عثرته ورفضها برجله .  
وأما الحكيم الوقور فلا يستحسن شيئاً من ذلك . واذا استشعر من  
خصمه انه بمنزلة البهائم حال الغضب صار هذا الاستتعار منه طريقاً  
الى ضبط النفس الغضبية وزمها . فان اذاه مؤذ بغير سبب فأذاه ذلك

الى . ل نغضبه ، أنف أيضا من الغضب وشعر في نفسه ان الغضبان  
و بهيمة هما بمنزلة واحدة ، فيعدل حينئذ الى مقابلة مؤذيه بما يقتضيه  
الرب السليم من حيث لا يظهر نيه غضب ولا سفه .

وينبغي لمحبة الكمال أيضا أن يعود نفسه على محبة الناس أجمع  
والمودود اليه واليتجنن والرافقة عليهم والرحمة بهم . فان الناس بن  
قبل واحد متناسبون تجمعهم الانسانية وتحليهم قوة الهيئة الاجتماعية  
التي هي في شيعهم وفي كل واحد منهم . وبهذه المزية التي هي من  
ماتلقا الناس المناطقة صار الانسان انسانا . فالانسان اذا هو النفس  
المعلقة وهي جوهر واحد في جميع الناس . واذا كن الأمر كذلك  
كان من الواجب أن يكونوا كلهم متحابين متوادين ، وذلك في  
الناس طبيعة غريزية . اذا لم تقدم النفس الغضبية الى فعل ما لا ينبغي  
فيه . بهذه النفس يجب الانسان التواؤس والكبر والاعجاب والتسلط  
على المستضعف واستهغار الفقير وحسد الغني وبغض ذوي النفل .  
فيتسبب عن ذلك العداوات وتتناكد البغضة بين الانسان وصاحبه .  
اما اذا ضبط الانسان نفسه الغضبية وانقاد لنفسه العقلية صارت له  
الناس احبابا واخوانا . واذا عمل فكره رأى الانسان ان ذلك واجب ،  
فالناس اذا أما أن يكونوا فضلاء أو تقصاء . فالفضلاء يجب عليهم  
محبتهم لمبادي فضلهم ، والتقصاء يجب عليهم رحمتهم لموضع نقصهم .  
وبناء على ذلك يجب لمحبة الكمال أن يكون محبا لجميع الناس متحننا  
عليهم رؤوفا بهم وخاصة الملك والرئيس . فان الملك لا يكون ملكا

ما لم يكن محباً لرعيته رؤوفاً بهم . لان الملك ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل داره ، وما أقبح أن يكون رب الدار مبغضاً لأهل داره لا يتحنن عليهم ولا يحب صالحهم .

وينبغي لمحب الكمال ان يجعل همته فعل الخير من جميع الناس نافقاً ما يفضل من ماله في ما يقي له الذكر الجميل بعد موته متمترزا من فعل الشر . وذلك لانه اذا حاسب نفسه حساباً مدقّقاً علم ان من يفعل الشر فاما يفعل . خير يعتقد انه لا يصل اليه الا بذلك الشر . ولربما كان ذلك غلطاً . واذا علم ان الأمر على هذه الصفة كان واجباً أن يطلب الخير الذي يرومه من طريق مناسبة غير طريق الشر ، إذ ان هذا هو الغرض المطلوب لا فعل الشر . فأما ان كان تشوره لنفاه غيظ لحقه ، فليعلم انه متى سكن غيظه وجد ان ذلك المقصود بالشر غير مستحق لذلك الفعل . ففعل الشر قبيح وخاصة بمن قد جمع بين الفضائل والعلم إلا أن يكون تأديباً على جرم أو اقتصاصاً من جان ، فان هذه الحالة تكون مستحسنة محدودة ، بل لا تعدّ شراً لان ذلك الشرّ انما يصل الى الجاني فقط ويكون منه نفع عام لجميع الناس بأن يرتدع به أمثاله من الجنّة فتكون المنفعة به أكثر ، فمن أجل هذا لا يعدّ شريراً من فعل ذلك . واذا تعود الانسان فعل الخير وألفه وتجنب الشرّ واستوحش منه أنف من الاخلاق المكروهة التي تعدّ شراً كالحسد والحقد والخبث والخديعة والنميمة والغيبة والوقية وامثال

ذات . وإذا ذكر العاقل علم أنها جميعها غير مجدية له فغماً بالكلية  
ومى مع ذات تسببه بقبح سيرتها . وإذا كان محباً للتام راغباً في  
الكمال كان من الواجب عليه أن يتجنب تلك الاخلاق الذمومة .

وينبغي لمحِب الكمال أن يعتقد أنه ليس شيء من "ابواب والقبايع  
خائفاً عن الناس . ومهما اجتهد فاعل الشر في سر شره فلا ينبغي أن  
تطمع نفسه في اخفاء . فدل قبيح يظن أنه يكتم عن الناس حتى لا يقف  
عليه أحد . وينبغي أن يعلم أيضاً أن الناس بالطبع موكلون بتبعية عيوب  
ناس وتعميرهم بها ، وهذا طبع غريزي في سائر الناس . والسبب  
فيه أن الانسان مالم يبلغ النام فلبس يخلو من تفسير يعاب به وبناء  
على ذلك يسوءه ان يرى غيره أفضل منه ويود لو ان تكون الناس  
كلهم نقصاء ليساوه في النقص . وقد يظن كثير من العظماء والرؤساء  
ان عيوبهم مستورة عن أعين الناس غير ظاهرة لهم : وذلك لموضع  
هيبتهم وعظم سطوتهم . ويظنون ان حاشيتهم وخواصهم لا يحسرون  
على اظهار أسرارهم ولو وقفوا على شيء منها ، وهذا نهاية الغلط ، لأن  
خواص الأمراء وحاشيتهم كما انهم عندهم ثقات أمناء كذلك لكل  
واحد منهم خواص وثقات يخرج اليهم أسرارهم . وهذه الحالة طريق  
عمومية لانتشار معائب الرؤساء والعظماء الذين يظنون أنها مستورة  
عن أعين الأنام . والعلة في ظنهم هذا انهم لا يسمعون  
أحدًا يذكرها لهم ولا أحدًا ينصحهم عنها فيتوهمون بذلك أنها خفيت

عن الناس بالكلية. ولهذا اذا أحب الانسان ان يتأكد ان عيوبه غير خافية يعود الى نفسه فينظر هل يعرف لأحد عيبا كان يسترده وبخفيه. فانه يجد للناس عنده عيوباً كثيرة قد اجتهدوا في سترها وحرصوا على صونها. ومنهم من يظن انها خفيت ومنهم من يعلم انها قد انتشرت بعد الستر، فاذا علم بأنه عارف بأسرار كثيرين من الناس كانت مستورة. فبالواجب أن يعتقد ان عيوبه هو أيضاً غير خافية ولا مكتومة وان الناس يعرفون من عيوبه اكثر مما يعرف هو من عيوبهم. ولهذا ينبغي لمن أحب الكمال أن يعتقد أن عيوبه ظاهرة ولو اجتهد في اخفائها. وانه ليس بتام من عرف له عيب. فلا طريق الى التمام الا باجتنب العيوب بالكلية والتمسك بالفضائل في سائر الامور، وهذه الرتبة غاية تمام الانسانية ونهاية الفضيلة البشرية. وواجب على كل انسان الاجتهاد في بلوغها واستفراغ الرسع في الوصول اليها. لأن التمام مطلوب لذاته والنقص مكروه لعيبه. وأحق الناس لطلب هذه الرتبة وأولاهم بالتجمل بها لبلوغ هذه المنزلة الملوك والرؤساء لأن الملوك والرؤساء أشرف الناس وأعظمهم قدراً وما أقبح بالشریف العظيم القدير أن يكون ناقصاً. فالملوك اذا ينبغي أن يكونوا أشد الناس حرصاً على بلوغ الكمال. لأن الملك اذا كان تاماً جامعاً لمحاسن الأخلاق محيطاً بجميع المناقب الحسنة كان ملكاً بالطبع. واذا كان ناقصاً كان ملكاً بالقهر. وما أولى بالملك

ان رغب في الرئاسة الحقيقية لا في التي تكون بالقهر والشرف الذاتي.  
فلو اوجب اذا أن يصرف الملك همته في اكتساب الفضائل وانتشاء  
الاحسان ويطلب الغاية من المكارم ويستصغر الكثير منها حتى يحوز  
جميعها ولا يرضى بالنهاية حتى يزيد عليها . فانه إن رضي برتبة فوقها  
رتبة لم يصير أبدا الى التمام ، واذا طلب الكمال فأول ما يحب عليه أن يعتاده في  
نفسه هو عظم الهمة . فان عظم الهمة يسن في عينه كل رذيلة ويحسن  
له كل فضيلة . فاذا عظمت همته بذلك سلم من الاعجاب بآله ورأى  
نفسه وهمة أعظم قدرا من أن يستكثر ذلك الملك . واذا احتقر الملك  
ملكه الذي به عزته وعظمته طالب لنفسه ما يعظمها بالحقيقة . وبناء  
على ذلك يرى بان النفس لا تعظم الا بالفضائل . ثم ينبني له أيضا ان  
بكره الملق وبغض ائتمتة ومنهاهم عنه . وملاك الامر في ذلك جميعه  
ان يعرف عيوبه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها . وهذا في الملوك  
صعب جدا . وذلك لان الانسان بالطبع يخفى عليه كثير من عيوبه  
مالم ينبه عليها آخر ، والذي يخفى على الملوك هو اكثر . وسببه ان  
العوام والسوقة يكتون على عيوبهم ويوبخون على ذنوبهم ويعيرون  
بنقائصهم فهم بالضرورة يعرفونها . وأما الملوك فلا يجسر أحد على  
تبكيتهم ولا يقدم أحد على نصحتهم وذلك لان الناس أجمع يقصدون  
التقرب الى الملوك بالتملق فلا يقولون لهم الا ما يحبون لينالوا الحظ  
عندهم ، فعيوب الملوك أبدا خفية عنهم .

وينبغي للملك اذا أحب أن ينزه عن العيوب ومنظر من دنسها أن يتقدم الى خواصه وثقاته ومن كان يركن الى عقا وفطائه من خدمه وحاشيته ويأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ونقائسه وبطائه وعاهها ويعلموه بها .

وينبغي أيضاً أن يتلقى من يهدي اليه شيئاً من عيوبه باللباساة والقبول ويظهر له الفرح والسرور ، بل المستحسن من الملك ان يبرز الذي أوقنه على عيوبه اكثر مما يحيز المادح على مدحه ويسكر من ينهيه على تقصه . فاذا لزم هذه الطريقة وعرف بها يسر أصحابه وخواصه الى تنبيهه على عيوبه وإيقاظه على مقابحه فيأنف حينئذ من الرذائل ويتعد من النقائص ، يأخذ نفسه إذ ذاك بالنزهة من العيوب ويقهرها على التخلص من دنسها . فاذا فعل ذلك وتوفر على اقتناء الفضائل وألزم نفسه التخلق بالمحاسن ولم يرض من منقبة الا بغايتها ولم يقف عن فضيلة الا وطلب الزيادة عليها واجتهد في ما يحسن سياسة نفسه عاجلاً ، ويبقى له الذكر الجليل أجلاً ، لم يلبث أن يبلغ الغاية من التمام ، ويرتقي الى النهاية من الكمال ، فيحوز السعادة الانسانية والرئاسة الحقانية ويبقى له حسن الثناء مؤبداً وجميل الذكر مخلداً .

فقد أتينا فيما سبق على صفة الانسان اتمام الجامع لمحاسن الاخلاق ، والطريقة التي توصله الى الرتبة العليا وتحفظ عليه المنزلة الفضلى وقدمنا ما يجب تقديمه من سياسة الاخلاق لمطالع هذا الكتاب . فـ أـوـلى

من علم في تلك الأقوال وتصفحها . وفيهم مضمونها وتدبرها ، وأخذ  
نفسه باستمعان ، تبين في فصوله وساق أخلاقه بالطرق الى ما فن في  
أبوابه . واجتهد كل الاجتهاد في تكمل نفسه واستفرغ غابة الوسخ  
في طاب النمام . وما أقبح النقص بالقادر على التمام ، والعجز عن الاقتدر  
على الكمال . والحمد لله على كل حال .



بِزْتَم :

انتهى الكتاب وحمد الله لا ينهي — ويتلوه قصيدة  
للمرحوم الشيخ ناصيف اليزجي من المقامة السابعة عشرة  
الحكمية :



## القصيدة الحكيمة

اني لقد جربت اخلاق الوري  
 كلُّ يُنمُّ الناس فالذي نجا  
 والمرء مطبوع على البخيل اذا  
 يريد أن يغترف البحر ولا  
 ينسى من المحسن طوداً تدرسا  
 ولا يحجب غير نفسه فما  
 يعرف كل حاله في ما مضى  
 وكل علم يدرك المرء سوى  
 باعتل والدين له كل الرضى  
 وكما عقل الفتى قال اكتفى  
 قال طبع الناس على الظلم اذا  
 يؤذي الجاهل نفسه فان جنى  
 ويأخر التسوية لدهر ويرى  
 ينعم البعض بما لا يستحي  
 من عاصم بالتعظيم من ذوي الغنى  
 حتى عرفت ما بدا وما لا ينفي  
 من ذمه يدخل في ذم الملا  
 جاد بخوده عن العرض فدى  
 يترك منه قطرة تروى الظما  
 ويرى يأنسى ذرة ممن أسا  
 أسبه فهو الى النفس نسي  
 إلا الذي كن دنياً فارانى  
 عرفان قدر نفسه كما اقتضى  
 اما بما وجامه فلا  
 به كما ظن فسر وازدهى  
 سلم أمره لدهر الا بنى  
 يوماً عليك لا يلام لأذى  
 بعينه لو لدى الباب اسنو  
 وبعضهم ينادى ما شتى  
 فانه أفقر من فوق الذرى

كل يعد نفسه نعم الفتى  
لو عرف لانسان عيه لما  
وكل عيب كان من طي الخشي  
لا يسمر ابن اهل بالجهل كما  
لا يعرف الصديق فيسنة لما  
لا يحكم الفوم الفتى الا متى  
لو كان كما يعرف الاق سوي  
من قل لا اغل انه امر جري  
وقلنا ابصر نعمة على  
وقلنا كن شاعرا به الية  
وكن ما في غير منواه ثوى  
وكل ما عن منبرج الطاب التوى  
وكل من تاه دلا ودعى  
وكل من شاب على خلق فاز  
وكل من لا خير منه يرتجى

فمن هو الليم منا يا ترى  
رأيت عيبا فيه ما طال المدى  
في المرء ينو فيه كبا ننته  
لا يشعر السكران الا ان صعدا  
كن من الصحة حتى يبتلى  
ما في فيعطى حقا تحت البلى  
كان كل الناس أهلا لنتهنا  
فانها أول غلطة تتر  
شخص ولا تقول ندعنا منا  
لا عزيز النفس والجود كذا  
يسمج في عين وبؤذي من رأى  
نكره النفس ولو نفعاً جنى  
مستكبر في لك ناقص الخبي  
تدحه فهو ايس من عمل الندی  
ان عن أو مان عن حد سوى

( من المقدمة الحكمية من مجمع البحرين المرحوم الشيخ المصنف الجليلي )



